

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	شوال المكرم ١٤٣٢ ھ
العدد التاسع	سبتمبر ٢٠١١ م

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتــويـــــات الـعـــدد

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج

(7) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

(ب) تكريم وفودهم الوافدة إلى البلاد:

كان الملك عبد العزيز رحمه الله يولي عناية خاصة بعلماء الهند عند زيارتهم للمملكة – إلى جانب عنايته بعلماء العالم – ويقدرهم حق قدرهم، بل وفوق قدرهم، ففي أول مؤتمر عقده الملك بعد فتح الحجاز بمكة المكرمة وجه الدعوة إلى ثلاث جماعات إسلامية هندية هي: جمعية الخلافة، وجمعية العلماء، ومؤتمر أهل الحديث. وطلب من كل جماعة إرسال مندوب واحد لها للتمثيل في المؤتمر. ولكن بلغ عدد أعضاء وفود الجماعات الثلاث الموجهة للمشاركة في المؤتمر (13) عضوا: خمسة من جمعية العلماء، وأربعة من جمعية الخلافة، وكذلك أربعة من مؤتمر أهل الحديث. وقد بلغ من عطف الملك عبد العزيز على هذا العدد المضاعف أكثر من أربع مرات أن سمح للجميع بالدخول في فعاليات المؤتمر كأعضاء مدعووين. وقد اعترف المشاركون في المؤتمر بأن الملك وأركان دولته كانوا يعاملون معهم معاملة التكريم، ويهتمون بهم اهتماما بالغا، حتى بأفرادهم الذين كان لهم مواقف غير مرضية مع الملك وسياسته، والذين كانوا – طيلة أيام المؤتمر – يسعون لإثارة المؤتمرين وعامة ضيوف الرحمن وسكان مكة ضد الملك ودولته الرشيدة.[1]

فقد اعترف مولانا شوكت علي، عضو جمعية الخلافة في إحدى رسائله من مكة المكرمة إلى ابنه في الهند بعناية الملك عبد العزيز به وبغيره من أعضاء الجمعية قائلا:

"إن السلطان عبد العزيز يكرمنا غاية التكريم، مع علمه بأننا مخالفون لنصبه ملكا على البلاد.."[2]

---

[1] راجع لتفصيل هذا الإجمال جريدة أهل الحديث، أمرتسر، الأسبوعية، 6/ربيع الأول 1345هـ في صفحات متفرقة. وفي غيرها من أعداد الجريدة.

[2] انظر المرجع السابق: 19/محرم 1345هـ، ص:14

وقد بلغ من حفاوة الملك عبد العزيز بعلماء الهند أن اختار منهم العلامة السيد سليمان الندوي-عضو جمعية العلماء-نائب رئيس للمؤتمر، وكان قد اختار السيد شريف عدنان رئيسا للمؤتمر.[1]

وكان الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري رئيس وفد مؤتمر أهل الحديث بالهند يسجل في مفكرته أثناء هذا السفر جميع التفاصيل اللازمة، ويقوم بإرسال تقرير أسبوعي لنشره في جريدته الأسبوعية "أهل الحديث أمرتسر" وقد اشتمل عدد السابع من ذي الحجة 1344هـ للجريدة على تفاصيل مراسم استقبال وفد مؤتمر أهل الحديث عند وصوله إلى ميناء جدة، وأسماء مسؤولي الدولة الذين رحبوا به والتسهيلات التي وفروها له للوصول إلى مكة المكرمة.

وقد ذكر الشيخ الأمرتسري في هذا التقرير أن الملك عبد العزيز أرسل إلى مقام إقامتهم في مكة سيارته لإيصالهم إلى مقر إقامته، وعند وصول الوفد إليه أكرم الملك الشيخ الأمرتسري وأدناه إليه، واستعرف أحوال الجميع، ثم ألقى كلمة حول التوحيد. وقد استأذنه الشيخ الأمرتسري بإلقاء المواعظ والخطب في الحرم الشريف، فأذن له ولمرافقيه من علماء أهل الحديث بذلك، فكان الشيخ الأمرتسري يلقي موعظته يوميا في الحرم باللغة الأردية، ثم يلقي كلمة موجزة باللغة العربية أيضا على طلب من علماء نجد. وكان الشيخ محمد أبو القاسم سيف البنارسي (م سنة 1369هـ) والشيخ محمد بن إبراهيم الجوناكدي (م سنة 1360هـ) والشيخ نور حسين الغرجاكهي البنجالي - وهم من علماء أهل الحديث بالهند - أيضا يلقون الكلمات في الحرم المكي الشريف في بعض الأيام.[2]

والعالم الهندي الشهير الشيخ عبد القادر القصوري (م سنة 1361 هـ) كان ممن حجوا هذا العام (1344هـ) وشاركوا في المؤتمر، يذكر أن الملك عبد العزيز كان يستحسن آراءه وكلماته، ويقربه إليه، وطلب منه مرة - وهما في معزل عن الناس - أن ينصحه، فاستجاب الشيخ القصوري لطلبه، وبلغ من إعجاب الملك بالشيخ أن عرض عليه دعوة الإقامة بأرض نجد والحجاز والتعاون معه في شؤون الدولة، لكن الشيخ اعتذر عن ذلك لظروفه الخاصة.[3]

---

[1] انظر المرجع السابق: 7/ذو الحجة 1344هـ، ص: 7-8

[2] انظر: جريدة أهل الحديث، أمرتسر، الأسبوعية: 7/ذو الحجة 1344 ص: 7-8

[3] مجلة نور توحيد، نيبال: أغسطس 2005م ص: 15-16

ومن علماء الهند الذين شملتهم رعاية الملك عبد العزيز رحمه الله القاضي العلامة محمد سليمان سلمان المنصور فوري (م سنة 1350هـ) مؤلف الكتاب الشهير في السيرة النبوية "رحمة للعالمين" وغيره من الكتب القيمة النافعة. قام بأداء فريضة الحج في عام 1921م ثم حج أيضا عام 1930م وفي هذه المرة تشرف باللقاء مع الملك عبد العزيز والتحدث معه، ومن خلال هذا اللقاء لمس الملك نبوغه في العلم وبلوغه المنزلة العالية فيه، وقد ازداد سروره به عندنا ما أخبر بأن الشيخ خبير بالتاريخ والسيرة، وله إنتاجات حول هذه العلوم، وعند ذلك طلب منه المساهمة في خدمة الدولة السعودية بإعداد تاريخ مفصل للدولة، والدولة توفر له المعلومات و المواد اللازمة، وقد أبدى الشيخ المنصورفوري موافقته على هذا الاقتراح واستعداده للقيام بهذا العمل. لكن المنية وافته في عودته من الحج و هو في الباخرة في 30/مايو 1930م. [1]

ومن العلماء الذين أكرموا من قبل الدولة السعودية وحكامها في حج عام 1344هـ الشيخ محمد أبو القاسم سيف البنارسي ابن الشيخ محمد سعيد البنارسي (م سنة 1369هـ) وهو من تلامذة المحدث السيد نذير حسين الدهلوي، زار بيت الله الحرام سنة 1330هـ لأول مرة، ثم زاره بعد ذلك سنة 1344هـ. وكانت هذه الزيارة طيبة مثمرة حيث استمرت مناقشات علمية طوال بقائه في الحجاز مع الشيخ عبدالله بن بليهد قاضي مكة المكرمة، والشيخ إبراهيم بن سهيان حاكم المدينة المنورة، والشيخ محمد بن علي التركي، والشيخ القاضي محمود علي المصري. وقد قام الشيخ البنارسي بإلقاء الخطب في المسجد النبوي الشريف على إلحاح من حاكم المدينة المنورة في هذه الرحلة الميمونة، وأسند الحديث الشيخ محمد بن عبد اللطيف (م سنة 1386هـ) من أحفاد الإمام محمد بن عبد الوهاب، عن الشيخ البنارسي، وقد حصل الشيخ محمد بن عبد اللطيف على سند الحديث من أبيه المحدث محمد سعيد البنارسي في بنارس أيضا. وقد قام الشيخ محمد أبو القاسم بزيارة إلى الرياض أيضاً على دعوة الملك عبد العزيز رحمه الله. [2]

ومنهم الشيخ القاضي عبد الأحد ابن القاضي محمد حسن الخانفوري (م سنة 1347هـ) من كبار المدافعين عن الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، قام بالدعوة وألف

---

[1] المرجع السابق، ص:16

[2] انظر: مجلة الجامعة السلفية، بنارس: ذو القعدة 1397هـ ص:63، ومجلة محدث، بنارس: ذو الحجة 1405هـ ص:26، وجهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، للفريوائي، ص:174-175

وناظر، ولما ذهب للحج مع زوجته تشرف باللقاء مع الملك عبد العزيز، وكذلك مع علماء الحرمين الشريفين، وتحدث مع الملك حول بعض المسائل العلمية ،فأعجب كلامه الملك، فوضع الملك يده على عاتقه وقال: "عقيدتنا عقيدتک". وأكرمه الملك بحلة عند العودة، كما قدم إليه ساعة ذهبية لزوجته، وأمر بإيصاله إلى ميناء جدة بسيارته الخاصة.[1]

ومن هؤلاء المكرمين أيضاً الوفد المكون من كل من المحدث الشيخ عبيد الله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري (م سنة 1414هـ) مؤلف كتاب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، والشيخ خليل عرب بن محمد عرب ابن المحدث الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني (م سنة 1386هـ) وكان مؤتمر أهل الحديث في الهند أرسل هذا الوفد إلى الملك عبد العزيز آل سعود في رمضان عام 1366هـ=سبتمبر 1947م للتفاوض معه في شأن إعادة فتح مدرسة دار الحديث في المدينة النبوية، والتي كانت قد أغلقت من قبل الحكومة بسبب الشكاوى المرفوعة ضدها. وكان الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي من علماء الهند هو الذي أسس هذه المدرسة بمساعدة الحافظ حميد الله السلفي من كبار أثرياء دهلي.

رحبت الدولة السعودية بهذا الوفد ترحيبا حارا، ولما تشرف الوفد بلقاء الملك عبد العزيز أجلس الشيخين على يمينه ويساره، واستفسرهما عن سبب الزيارة، ثم أمر الجهات المعنية لإجراء اللازم، ووافق على فتح المدرسة ثانيا.

وقد سعد الوفد بزيارة الأمير سعود بن عبد العزيز ولي العهد آنذاک، وزيارة الأمير فيصل بن عبد العزيز وهو في الطائف، ولقاء أئمة الحرمين وشيوخ المملكة، وكل رحلات الوفد من الظهران إلى الرياض، إلى الطائف، إلى مكة المكرمة، إلى جدة، إلى المدينة المنورة، ذهابا وإيابا، إما بالطائرات الحكومية أو بالسيارات الحكومية، واستقبل الوفد في كل هذه المدن بالحفاوة والتكريم من قبل رجال الدولة والعلماء والمشايخ، وحصل له شرف اللقاء مع الملك المؤسس أكثر من مرة، ولقي من العناية والتكريم ما لم يكن في حسبانه، على حد تعبيره.[2]

ومن علماء الهند المكرمين في الدولة السعودية بعد عهد الملك عبد العزيز: الشيخ عبد المجيد الحريري (م سنة 1392هـ) العالم الأديب الدبلوماسي.

---

[1] انظر: تذكرة علماء خانفور، للقاضي محمد عبد الله الخانفوري، ص:113-114

[2] يراجع للتفصيل: "شيخ الحديث عبيد الله الرحماني: حيات وخدمات، لفواز بن عبد العزيز. 1/64-75، ومجلة محدث، بنارس: ذو الحجة 1403هـ ص:12-14، ومجلة صوت الأمة، بنارس، ربيع الآخر 1430هـ ص:31-35

كانت الحكومة الهندية قد عينت الشيخ الحريري في سنة 1949م قنصلا بجدة، وكان الشيخ الحريري قد سافر إلى جدة عن طريق مصر، وامتدت إقامته بمصر يومين اجتمع فيها بالعلماء والمشايخ...وحينما وصل الشيخ الحريري إلى جدة وتحمل مسؤوليته في السفارة دعا علماء جدة ومشايخها ووزراءها إلى مأدبة أقامها في بيته، وكان بين المدعوين الملك فيصل رحمه الله، الذي كان رئيس مجلس الوزراء حينذاك، ولما تكلم الشيخ الحريري مع الملك فيصل باللغة العربية أعجب به جدا، وقال: يبدو أنك من أسرة شامية، فإن الشاميين هم الذين يتكلمون باللغة الفصيحة، وكان الملك فيصل قد أثنى كثيرا على الشيخ الحريري في هذا اللقاء.

...وفي أثناء إقامة الشيخ الحريري بالحجاز وصلته دعوة الملك سعود بن عبد العزيز يستقدمه بها إلى الرياض. فذهب الشيخ الحريري إلى الرياض، وقام بتنسيق وتنظيم المكتبة الملكية بأمر من الملك سعود، وحينما انتهى الشيخ الحريري من عمله في هذه المكتبة عقد الملك سعود اجتماعا في تكريمه، حضره وجهاء مدينة الرياض والوزراء والعلماء، وألقى فيه الشيخ الحريري كلمته يشرح فيها أعماله في المكتبة، وكان يخطب والمستمعون يهتفون بكلمات: "أحسنت" و"مرحبا" و"لافض فوك".. [1]

ومن الأمثلة الكثيرة لتكريم الملك فيصل رحمه الله لعلماء الهند ما اطلعنا عليه في الصفحات السابقة من استقباله لوفد الجامعة السلفية بنارس ومحادثته معه ووعده بالاستمرار في الوقوف مع الجامعة ودعم مشاريعه الدعوية والتعليمية.

ويواصل الملك فهد مسيرة الوالد والإخوان فيقدر العلماء حق قدرهم وينال علماء الهند من عطفه وحنانه شيئا كثيرا، وتتوالى زيارات وفود الجامعة السلفية للملك فهد، فيسعها من مكارم أخلاقه، ويدنيها إليه ويفرح بترحيبه بها في مجالسه وقصوره رحمه الله. يقول الدكتور مقتدى حسن الأزهري، رئيس الجامعة السلفية السابق، والذي قد تسنى له فرصة اللقاء مع الملك فهد أكثر من مرة:

"أذكر في حياتي ذلك اليوم الذي لقيت فيه الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود-رحمه الله-في قصر المعذر، وسلمت عليه وفي يمينه جلس سماحة الشيخ الكبير عبد العزيز بن عبد الله بن باز-رحمه الله تعالى-وفي يساره فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان-حفظه الله تعالى-." [2]

(يتبع)

***

[1] مجلة صوت الجامعة (الجامعة السلفية، بنارس) جمادى الأولى 1395هـ ص:61-63

[2] مجلة صوت الأمة، بنارس: رجب 1426هـ، ص:3

عبر ومواعظ

الله يعلم وأنتم لا تعلمون

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

قرأت في إحدى المجلات، من خارج المملكة، قصة صغيرة ذات مغزى، وهي قصة الأمير الحافي، تخص مشاهدة فضالة بن عبيد — رضي الله عنه — يمشي أشعث حافيا.

والصحابي الجليل فضالة يحسن إعطاء فكرة عن حياته ومكانته قبل إيراد القصة التي كانت سببا في الحديث عنه. هو صحابي أوسيّ من السابقين إلى الإسلام، أطال ابن الأثير في تعداد أجداده، وكان يكنى بأبي محمد، أول مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المغازي غزوة أحد، ثم حضر المشاهد كلها، وكان ممن بايع تحت الشجرة الذين قال الله فيهم: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيز حكيما} (الفتح الآيتان 18–19)، وانتقل إلى الشام وشهد فتح مصر، وسكن الشام، وولي القضاء بدمشق لمعاوية، واستقضاه في خروجه إلى صفين، وقال له: "أحببت أن أستتر بك من النار"، ثم أمّره معاوية على جيش، فغزا الروم في البحر، وسبى بأرضهم.

روى عنه مجموعة من التابعين، وذكر منهم ستة، ثم قال: وآخرون. ومما أورد عنه القول: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث بسنده المتصل إلى فضالة بن عبيد، قال: اشتريت قلادة يوم خيبر باثني عشر دينارا، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تباع — يعني القلادة بعد هذا — حتى تفصل، ومن هذا أخذ الصحابة والفقهاء بعدهم برأي عدم بيع السيف المذهب، أو المنطقة المفضضة، أو مثل هذا بدراهم، حتى يميز ويفصل ما حُلي به، وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال الحافظ أيو يعلى: وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

والعلة في ذلك اجتناب الربا الذي حرمه الله، وهو بيع الذهب بالذهب، والورق بالورق –وهو الفضة– ما لم يختلف الضدان. واختلف في وفاته ما بين سنة ثلاث وخمسين في خلافة معاوية، وقبل سنة تسع وستين، فحمل معاوية سريره وقال لابنه عبد الله: "أعني يا بُني، فإنك لن تحمل بعده مثله". وكان موته بدمشق، وكان له بها عقب. (أسد الغابة 4/363).

وقد جاءت ترجمته في مصادر عدة، ذكرها الزركلي في كتابه الأعلام (ج 5 ص 350 في الهامش).

وإذا رجعنا إلى ما ذكر في تلك المجلة التي أوردت قصة الأمير الحافي فقد شوهد فضالة بن عبيد، وهو والي الشام، أشعث حافيا، فقيل له: أنت الأمير وتفعل هكذا؟! فأجاب: "نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء، وأمرنا أن نتحفى أحيانا".

ولعل كلام فضالة هذا موافق لما يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اخشوشنوا، فإن النعم لا تدوم".

لم يكن فضالة بن عبيد –رضي الله عنه– عندما مشى حافيا يدرك الأسباب الطبية، أو المؤشرات النفسية، سواء في جسمه أو فيمن حوله، أو في المجتمع، لكنه اتبع الهدي النبوي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وفي هذا رد على المتجرئين على شرع الله سبحانه، الذين يلوون النصوص ليا، حتى تأتي على رغباتهم وأهوائهم، متناسين قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار" رواه ابن عدي عن عبد الله بن جعفر مرسلا، وما تلك الفتاوى من المتساهلين، والراغبين في البروز، والمخالفة للنصوص الشرعية، إلا من القول على الله سبحانه وعلى رسوله –صلى الله عليه وسلم– بغير علم، لأن الله يقول، وقوله الحق: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب} (النحل آية 116).

وما ذلك إلا أن شرع الله ثابت، ولا يتغير مع تقادم الزمن، ورسالة محمد –صلى الله عليه وسلم– هي الخاتمة، ولا يصح إطلاق كلمات هي من الجرأة على الله وعلى رسوله الكريم، كقول بعضهم: نسير مع التطور، ومجاراة الزمن، أو بما يتلاءم مع مقتضيات العصر، أو غير هذا من المسببات والأقاويل.

وإذا كان بعضهم يتجاهل بالنصوص الشرعية، ولا يؤمن إلا بما يتلاءم مع ذهنه القاصر، وهوى نفسه، ولا يراقب الله سبحانه فيما يكتب، كالذي كتب قبل أيام وجزم بإيمان فرعون، ودافع عنه لأنه في نظره مات مؤمنا، مع وجود آيات كثيرة في القرآن الكريم تزيد على 35 آية توضح كفر فرعون، وأنه وآله يعرضون على النار غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة يقول سبحانه: {أدخلوا آل فرعون أشد العذاب} (غافر آية 46) والنماذج كثيرة، والله سبحانه قد حفظ كتابه، عن التغيير والتبديل، بل عاش المسلمون مع الأمم الأخرى 14 قرنا، ما قالوا عن دين الله مثلما يصدر من بعض الكتاب في الآونة الأخيرة!

ولطالما يأتي حوار حول التشريع عندهم وعندنا وأيهما يتلاءم عقلا ومنطقا مع العقل والرأفة بالإنسان، وينتهي —بحمد الله— بغلبة الشريعة وكمالها، وملاءمتها للفطرة، بل بإسلام بعضهم، أما اليوم فإن تجاهل شريعة الإسلام ونصوصها التي تُلوى ليا من أناس أسماؤهم وبيئتهم إسلامية، والله سبحانه يقول: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر آية 9)، وهذه الآية فيها تأكيدات متعددة، والبلاغيون يقولون: تأكيد المبنى زيادة في تمكين المعنى، فهل هؤلاء المتقولون أعلم أم الله؟!!

وإذا رجعنا إلى ما عمله الصحابي فضالة بن عبيد، عندما مشى حافيا ممتثلا توجيه رسول الله —كما مر بنا— وأنه لابد أن يكون فيه فائدة، مع كونه من التواضع وعدم التكبر، تظهر حقيقة يقول كاتبها: والآن، وبعد أكثر من 1400 سنة، بل تزيد، نرى أحد أطباء الغرب ينصح في إحدى كليات الطب في ولاية (كاليفورنيا) بأمريكا بالمشي حافيا، لما في ذلك من الفائدة، حيث إن المشي يدلك أقسام القدم، ولأن كل قسم من أقسام أسفل القدم مرتبط بعضو من أعضاء الجسم، كالمعدة والكبد والرئتين، فإذا تعذر المشي يمكن التدليك باليد. (المجلة ص 50)

ومن ذلك تأتي دلالة قول علي رضي الله عنه: "خاطبوا الناس بما يعرفون حتى لا يكذب الله ورسوله "فيه ارتباط بما جد من تخصصات وعلوم حديثة كالطب والفيزياء والأحياء، وغيرها مما أصبح ميدانا واسعا، لمخاطبة الأفئدة بما يقنع أصحابها، وما تفتحت عنه العقول البشرية الدنيوية، ولا يتعارض الصحيح منها مع النصوص الشرعية، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم لم ينكر تأبير النخل، وقال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، بعد أن أكد التزام ما يخبرهم به من أمور الدين، لأن ذلك من الله.

نأخذ مثالا ثانيا- وما أكثر الأمثلة لمن يريد أن يربط المعجزات الربانية، والتوجيهات الشرعية النبوية بالعلوم الإنسانية الحديثة من باب التأكيد والترسيخ، فيخبر الله سبحانه أن الحق لا يتبع الهوى: {ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون} (المؤمنون آية 71) –فقد حذّر رسول الله وتوعد بالعقاب في (التخبيب)، والتخبيب هو إفساد المرأة على زوجها، ليتزوجها أو بالعكس. فقد اكتُشف في (مستشفى دوشل) في نيويورك بأمريكا، وبموجب إحصائية طبية، أثبتت بعد الدراسة أن الرجل الذي يخطط ليتزوج من امرأة متزوجة من رجل آخر، ويعمد لإثارة مشكلات بينهما كي يحصل الطلاق بينهما، ومن ثم يتزوجها، وكذلك المرأة التي تخطط لتتزوج من رجل متزوج من امرأة أخرى، وتعمد إلى إثارة مشكلات بينهما، سواء كانت من المرأة أو الرجل، فيما يخصهما، أو تحريك من يعمل ذلك لمصلحتها، ليحصل الطلاق، ومن ثم تتزوج المرأة الرجل، بعد طلاقه امرأته، أو يتزوج الرجل المرأة بعد طلاقها من زوجها، أثبتت الدراسات في هذا المستشفى (مستشفى دوشل) في نيويورك بأمريكا، التي أُجريت على آلاف الحالات أن كلا من الرجل والمرأة، يعني كلا منهما الذي عمل ذلك العمل، يُصاب بأمراض القلب كالجلطة والسكتة والنوبة، وما يتبعها من أمراض. فسبحان الله، ما أحلمه وما أحكمه، فهو يرسل الآيات والنذائر.

ففي المجتمعات الإسلامية يأتي الوعيد الشديد من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والتخويف من عقاب الله، وفي بعض المجتمعات يأتي عقاب الله بأشياء يفزعون منها، تتعلق بالإنسان وأمراضه، وبالمعيشة والأزمات، لعل القلوب تتعظ والنفوس ترعوي.

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر فسوف أذكر حالة ترتبط بالمشي حافيا، حدث بها الملك فهد –رحمه الله-.

ففي سنة من السنوات وهو في الطائف في الصيفية، حيث تذهب مكاتب المسؤولين في الدولة، على العادة التي رسمها الملك عبد العزيز – رحمه الله –ثم أبناؤه من بعده، في تلك

السنة كانت جلسة الملك مع العلماء، وفي يومها المحدد أسبوعيا، وفي رمضان كانت تلك الجلسة بعد صلاة التراويح، فجاء الملك فهد – رحمه الله – والمشايخ مجتمعون، وكانت قدمه اليمنى ملفوفة بضمادات، ويتكئ على عصا، وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – الذي جئت معه على يمين الملك، وبعد السلام والجلوس التفت الملك إلى الشيخ موجها الكلام، لأنه كفيف لم ير الذي رأوه، ولكي يشركه في الحديث.

قال: يا شيخ عبد العزيز! أقدار الله تأتي الإنسان حتما، فقد كنت أتمشى في الحديقة حافيا، لأن مريضة من بنات إحدى الأسر كانت تشكو مرضا أعجز الأطباء معرفته، ولم تستفد من العلاجات في الخارج، وقد حدد أحد الأطباء الذين عالجوها علاجا سهلا، بحجة أن مرضها الذي بان له هو (نقض المناعة) ، وعلاجه أن تمشي حافية القدمين كل يوم بمعدل ساعة، وقد استمرت فترة من الزمن فشفيت تماما – بحمد الله – واليوم أردت المشي حافيا ما دامت الفائدة من المشي ظاهرة، إلا أنني تعرضت لجرح كبير في قدمي، لست أدري هل هو مسمار أو زجاجة، وهو ما رآه العلماء بضماداته في قدمي.

فدعوا له بالشفاء ،وفي الجلسة القادمة كان بحمد الله سليما، وهذا من علم الله الذي بدأت علاماته تتكشف للناس، وهو من المعجزات التي يجب الاعتبار بها، وتقوي إيماننا، لكي نشرحها أمام الآخرين بعالمية دين الإسلام، وأسراره، لعلهم يتعظون ويتفكرون.

***

آفاق إسلامية

مَن الـفـائـز؟

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلى على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين، أما بعد:

أخي الحبيب ! كثيرا ما نسمع كلمة "فاز" و "فوز" فيقال: فاز فلان بجائزة، وفلان بسيارة، وفاز فلان بكأس، وفلان بميدالية. وفاز فلان بالمركز الأول، وفاز فريق كذا على فريق كذا بهدف أو أكثر. وفاز الملاكم الفلاني على خصمه بالضربة القاضية ... وهكذا كثيرا ما تطرق هذه الكلمة آذاننا فيما يتعلق بجوائز الدنيا وهداياها. ولكن القليل منا من نظر في هذه الكلمة بعين بصيرته، وسافر بهمته إلى الفوز الأكبر الذي ليس بعده خسارة، واشتاق إلى السعادة العظمى التي ليس بعدها شقاء. (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) [هود: 106–108]

الفوز الحقيقي

إن الفوز في الدنيا محفوف بالمكاره، ومعرض للنقص والزوال والنسيان، فالغنى يتبعه فقر، والقوة يتبعها ضعف، والصحة يتبعها مرض، والشباب يتبعه عجز وحرم، والحياة نفسها لا تدوم...

فأي فوز هذا الذي يكون في الدنيا؟

أما الفوز الحقيقي فهو ما يكون عند الموت، وفي القبر، وعند سؤال الملكين، وعند الحشر والنشر والصراط وتطاير الصحف: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ) [الحاقة: 19، 20]

انظر – أخي – إلى هذا الفائز، كيف ينادي فرحا ومسرورا، لقد أخذت كتابي بيميني، وهذه علامة فوزي وسعادتي الدائمة، اقرءوا هذا الكتاب أيها الناس، لقد كنت على يقين من مجيء هذا اليوم، ومن وقوفي هذا الموقف، ولذلك فقد عملت له ألف حساب، وهذا هو الجزاء: (فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) [الحاقة: 21–24]

وعلى الجانب الآخر يقف الخاسرون النادمون، الذين ضيعوا أعمارهم هباء، ولم يقدموا شيئا ليوم المعاد: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) [الحاقة: 25–29]

ولذلك فقد كان الجزاء من جنس العمل: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ) [الحاقة: 30–37].

أعلمت – أخي – إذن من الفائز؟ استمع إلى قول الحق تعالى: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) (آل عمران: 185).

فالفوز في النجاة من النار.. الفوز في دخول الجنة مع الأبرار.. وما أعظم الفارق بين أهل الجنة وأهل النار.. بين أهل النعيم وأهل الجحيم.. بين الناجين والهالكين.. بين الفائزين والخاسرين.. أولئك في الجنة يأكلون ويشربون.. ويلعبون ويمرحون.. ويلتذون بأنواع الملذات وأصناف النعيم.. وأولئك يعذبون ويضربون.. ويصرخون ويجأرون.. فهل يستويان مثلا؟ قال تعالى: (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) [الحشر: 20]

سبيل الفوز والنجاة

لعلك أخي الحبيب قد اشتقت إلى هذا الفوز العظيم والنجاح الكبير، ولعلك تتساءل فتقول: ما السبيل إلى هذا الفوز الكبير؟

وأقول مجيبا على هذا التساؤل: قال الله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام: 38] فعليك – أخي – بكتاب الله عز وجل، اقرأ القرآن، وتدبر آياته.. في القرآن الكريم بيان شامل لصفات الفائزين وأعمالهم، وبيان شاف لصفات الهالكين وأعمالهم.. وفيه أيضا مآل كل واحد من الفريقين.

ومن صفات الفائزين التي ذكرها القرآن الكريم ما يلي:

الصفة الأولى: الإيمان بالله

والإيمان بالله هو أساس الفوز والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة:72]

وقال تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [الحديد:12).

والإيمان عند أهل السنة والجماعة هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. أما من يقولون: إن الإيمان في القلب ولا دخل للجوارح فيه، وأن الأعمال ليست من الإيمان. فأولئك هم أهل الضلال والأهواء والبدع.

الصفة الثانية: صلاح العمل

إن الإيمان الحقيقي يدفع صاحبه إلى طاعة الله ورسوله وإصلاح العمل، حتى يكون خالصا لله تعالى، وصوابا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب:70، 71]

ونظرا الارتباط الإيمان بالعمل فقد قرن الله تعالى بينهما في كثير من آيات القرآن، وجعل الفوز مترتبا على الإتيان بهما جميعا فقال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) [الجاثية:30].

وقال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التغابن:9].

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) [البروج:11]

فانظر –أخي –كيف جمعت هذه الآيات بين الإيمان والعمل الصالح.. وكيف وُصف الفوز في الآية الأولى بأنه مبين، وفي الثانية بأنه عظيم.. وفي الثالثة بأنه كبير ليدل على كمال هذا الفوز الأخروي المترتب على الإيمان والعمل الصالح.

الصفة الثالثة: الاتباع وترك الابتداع

من صفات المؤمنين الفائزين: الاتباع وترك الابتداع، قال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 100].

ولا يتحقق الاتباع وترك الابتداع إلا بأصلين اثنين:

الأصل الأول: الإخلاص لله عز وجل.

الأصل الثاني: متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [الملك: 2] أحسنه: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

وقال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها.

وقال أيوب السختياني: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله –عز وجل– بعدا.

الصفة الرابعة: ترك المعاصي

فالمعاصي تفسد القلب وتظلمه، وتسقط العبد من عين الله تعالى وتورثه الذل والخذلان، وتعرضه لأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة. والمعاصي تزيل النعم وتحل النقم، وتمحق بركة العمر، وليس هناك فوز ولا سعادة ولا نجاة إلا بترك المعاصي.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [غافر: 7–9].

فأبان تعالى أن ترك السيئات والوقاية منها تؤدي إلى رحمة الله، ومن رحمه الله فقد فاز فوزا عظيما.

وقال تعالى في بيان فوز أهل الطاعة وهلاك أهل العصيان: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [النساء: 13، 14].

قال يحيى بن معاذ الرازي: عجبت من ذي عقل يقول في دعائه: اللهم لا تشمت بي الأعداء، وهو يشمت بنفسه كل عدو له. قيل له: كيف ذلك؟ قال: يعصي الله فيشمت به في القيامة كل عدو!!

الصفة الخامسة: الصدق

فالصدق من صفات المؤمنين الفائزين، قال تعالى: (قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة: 119].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [التوبة: 119]. وقال تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) فهم الرفيق الأعلى (وحسن أولئك رفيقا) [النساء: 69].

وأخبر تعالى أن من صدقه فهو خير له. فقال: (فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) [محمد: 21]

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) الأحزاب: 24].

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر.

الصفة السادسة: الخوف من الله

والخوف من الله عز وجل يؤدي إلى ترك العصيان، وترك المعاصي يثمر الفوز بالجنة والنجاة من النار. قال تعالى: (قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) [الأنعام: 15، 16].

والخوف من الله عز وجل من الفرائض على كل أحد، قال تعالى: (وإياي فارهبون) [البقرة: 40]، وقال: (فلا تخشوا الناس واخشونِ) [المائدة: 44]. بل إن الله سبحانه وتعالى علق الإيمان عليه فقال: (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: 175].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! قول الله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) [المؤمنون: 60] هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: "لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه". [رواه الترمذي وصححه الحاكم].

وقال الحسن في هذه الآية: عملوا —والله— بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا.

قال تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [النور: 52].

الصفة السابعة: التقوى

أخبر الله تعالى في كتابه عن فوز المتقين في الآخرة وخلودهم في الجنة ونجاتهم من النار، فقال سبحانه: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [الدخان: 51–57].

وبشرهم سبحانه بالفوز في الدنيا والآخرة فقال عز وجل: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [يونس: 63، 64].

والتقوى جماع الخيرات، وحقيقتها: التحرز بطاعة الله من عقوبته، وأصلها: اتقاء الشرك، ثم اتقاء المعاصي والسيئات، ثم اتقاء الشبهات، ثم بعد ذلك ترك الفضلات.

* قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته): أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

* وقال الروذباري: التقوى: مجانبة ما يبعدك عن الله.

* والتقوى لا تقوم إلا على ساق العلم، فالجاهل لا يمكن أن يكون تقيا، قال بكر بن خنيس: كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي؟!

الصفة الثامنة: الجهاد في سبيل الله

والجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، فقد سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "الصلاة لوقتها"، قال: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"، قال: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". [متفق عليه]

ولذلك جعل الله تعالى الجهاد في سبيل الله من أسباب الفوز العظيم يوم القيامة، قال تعالى: (لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 88، 89].

والجهاد في سبيل الله من أعظم التجارة مع الله عز وجل وأربحها. قال تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 111].

وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [الصف: 10–13].

الصفة التاسعة: ترك اتباع شياطين الجن والإنس

ومن أسباب الفوز بالجنة والنجاة من النار: ترك اتباع شياطين الجن والإنس ومخالفتهم وإظهار العداوة لهم. قال تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ، قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ، قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ

رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ، أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) [الصافات: 50–61].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها، وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم، من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. (قال قائل منهم إني كان لي قرين). قال مجاهد: يعني شيطانا. وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا، ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان".

والمراد أن المؤمن لما صدق بالبعث والجزاء، وأطاع ربه، وعصى القرين، كان ذلك سببا في نجاته من النار وفوزه بالجنة حيث النعيم المقيم الذي لا يزول ولا يحول.

الصفة العاشرة: الصبر

قال ابن القيم رحمه الله: وهو واجب إجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر".

وقد أخبر الله تعالى أن الصبر من أسباب الفوز والفلاح يوم القيامة، فقال سبحانه: (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ، إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) [المؤمنون: 109–111].

والصبر هو: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعاصي.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له". [رواه مسلم]

نسأل الله تعالى أن نكون من عباد الله الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

التوجيه الإسلامي

الكسب الحلال: أهميته وآثاره

فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله الذي خلق الخلق للعبادة، ونفّذ فيهم ما قدره وأراده، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

لا شك أن الإسلام قد شمل جميع أمور هذه الحياة، سواء فيما يتعلق بالحقوق الشخصية، أو العبادات، أو المعاملات، ومن المعاملات التي اعتنى بها الإسلام وبين جميع الأحكام المتعلقة بها المعاملات المالية، فبين الجائز منها والممنوع.

والواجب على المسلم أن لا يدخل في أي معاملة حتى يعرف حكمها الشرعي وحتى لا يدخل في معاملات محرمة ذات كسب خبيث مما يؤدي بصاحبه إلى النار!

ومن المعاملات المحرمة التي وقع فيها الكثير من أهل هذا الزمان المعاملات الربوبية، ومع الأسف أن نجد البنوك الربوية متمكنة في أوطان المسلمين دون نكير ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد أصبح هم الكثير من الناس اليوم جمع المال من أي مصدر! سواء أكان ذلك المال من طريق حلال، أو من أي طريق من الطرائق المحرمة، وأصبح الكثير من الناس يرى أن المال يكون حلالاً متى حل في يده!! ومهما كان ذلك المكسب خبيثاً فإنه لا يراه إلا حلالاً مادام قد حصل عليه وأمسك به في يده!!

والمسلم في معاملاته المالية ينبغي أن يسير على ضوء الإسلام، وعلى ضوء ما حدده الله، وبيّنه رسوله ﷺ، الذي قال في الحديث: "كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به".[1]

---

[1] أورده السيوطي في الدر المنثور (284/2).

ورواه الإمام أحمد (3/ 321، 399) برقم (14425، 15263) عن جابر في جملة حديث بلفظ: "يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به"، وروى الدارمي (318/2) بعضه ورواه الحاكم في المستدرك (126/4) عن عبدالرحمن بن سمرة، وجابر، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهم، وسكت عنها، ولم يضعفها الذهبي في تلخيصه ورواه ابن حبان كما في الإحسان (1720) مطولاً عن جابر وأقره. (قاله الشيخ ابن جبرين).

وقال محقق مسند أحمد: إسناده قوي على شرط مسلم رجاله ثقات غير خثيم، فصدوق لا بأس به، مسند أحمد ح (14441).

فينبغي للمسلم أن يتحرز من أن يتعامل مع تلك البنوك، أو يساهم فيها، أو أن يشترك فيها بوجه من الوجوه، حتى يقاطع أهل الشر، وأهل المنكر، وأهل المعصية، هكذا أمرنا الإسلام أن نبتعد عن مواطن المعاصي.

نسأل الله أن يوفقنا إلى التكسب عن طرائق الحلال ويجنبنا مزالق الشيطان، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحث على العمل والتكسب

إن الإنسان في هذه الحياة لا غنى له عن المال الذي يقوم بتغذية بدنه، وعفته عن سؤال غيره. وقد جعل الله وجوها كثيرة للتكسب الحلال، فأباح كل كسب ليس فيه اعتداء، ولا ظلم، ولا ضرر على الغير، وأباح أنواعا من الاكتساب حتى يجمع الإنسان من المال ما يكون كافيا في قوته، وقوت من يعوله.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على الأمر بتكسب الإنسان وسعيه للمعيشة، وبكف وجهه عن سؤال الناس، حتى أن النبي ﷺ قال فيما ورد عنه: "لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي بحزمة من حطب فيبيعها، فيكف بها وجهه عن الناس، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"[1]. فحث ﷺ في هذا الحديث على التكسب، ولكن التكسب الحلال.

ولما كان هم الناس وشغلهم الشاغل اكتساب المال، فإن منهم من تكون همته في التكسب الحلال، ومنهم من تكون همته في التكسب المشتبه! ومنهم من تكون همته في التكسب الحرام.

فالناس مختلفون في ذلك، فإن وُفق العبد لحرفة من الحرف التي لا شبهة فيها يكف بها وجهه عن الناس، فليحمد الله على ذلك، فإن هذا من السعادة، لأنه استغنى وتعفف واكتفى بالحلال عن الحرام.

وجوه التكسب الحلال وشروطه

وجوه التكسب الحلال كثيرة منها على سبيل المثال: الحراثة، والتجارة، والصناعة، وتربية الدواب والدواجن وغير ذلك.

فمن الناس من تكون همته في الأرض، فيستثمرها، ويغرسها، ويجد في ذلك معيشته وكسبه، ويستغني بذلك عن سؤال الناس.

[1] أخرجه البخاري برقم (1471)، وأحمد (164/1).

ولا شك أن كسب الحرث يعد من أفضل المكاسب، وقد جعله الله تعالى من جملة الحرف التي زُيّنت للناس، في قوله تعالى: {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث} [آل عمران: 14]

فجعل الحرث من جملة ما زُيّن للناس، لأن فيه كسبا وإنتاجا ينفع به الإنسان نفسه، وينفع به أيضا غيره، فيأكل ويبيع، وينفع الناس، ويزرع الحبوب، ويغرس الأشجار، ويجني الثمار، وإن كان في ذلك كلفة ومشقة فهذا مما يثاب عليه الإنسان إن احتسب أجره، ولا سيما إذا تصدق منه ونفع به غيره.

ومن الناس من تكون همته في التجارة، ولا شك أن التجارة أيضا من جملة الحرف التي يُكتسب بها المال، قل أو كثر، والتجارة هي شراء السلع وبيعها لأجل الربح فيها إذا بيعت بثمن يزيد عن قيمتها التي اشتريت به.

وقد ورد ذكر التجارة في القرآن في قوله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا} [الجمعة: 11]، وقوله: {قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة} [الجمعة: 11]، وقوله: {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} [النور: 37].

فالتجارة التي هي البيع والشراء من جملة الحرف المباحة، ولكن قد يلتبس بها ما يفسدها، أو يدخل الفساد إليها، ذلك أن التجار والباعة قد يتعاملون بمعاملات فاسدة، إما ربوية أو غيرها، فتدخل المحرمات في هذه المعاملات!! وهنا تتدخل الشريعة الإسلامية لتبين الحلال والحرام في الحرف.

وقد أحل الله المعاملات التي ليس فيها ضرر، فقال تعالى: {وأحل الله البيع وحرم الربا} [البقرة: 275]، وقال في آية الجمعة: {فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع} [الجمعة: 9]، فدل على أنه قبل النداء إلى صلاة الجمعة يباح البيع الذي يقصد من ورائه الربح، ثم لا شك أن هذا البيع مع كونه بيعا ليس فيه ربا ولا غش، فإنه قد يدخل فيه شيء يقلل من فائدته الأخروية، أو يدخل عليه فسادا أو ضررا!! فلأجل ذلك جاءت الشريعة بمنع البيع بعد النداء الثاني من يوم الجمعة حتى يتفرغ الإنسان للصلاة والذكر.

وقد نهى النبي ﷺ عن الكثير من المعاملات أو المبايعات التي فيها شيء من الضرر على الآخرين، فثبت أنه نهى عن بيع الغرر [1]، وذكر أيضا أمثلة أخرى من البيوع التي فيها غرر، فنهى عن بيع كل شيء لم يكن مشاهدا ومعلوما، لما فيه من الغرر كالذي يسمونه بيع حبل الحبلة [2]، وبيع الملامسة [3]، والمنابذة [4]، وبيع الحصاة [5]، وبيع ضربة الغائص، وبيع المغانم قبل أن تقسم [6]، وما أشبهها من المعاملات التي فيها ضرر على أحد المتبايعين، وماذاك إلا أن هذا الضرر إذا وقع في هذه المعاملات أحدث الفرقة بين المسلمين، لأن هذا الذي خدع من غيره وأخذ ماله بغير حق يحمل على أخيه ويمقته، ويسيء الظن به ويبغضه، فتقع بين المسلمين المقاطعة والعداوة والشحناء! فلأجل هذه الأسباب حرمت هذه المعاملات المنحرفة التي فيها ضرر أو غرر، وحرمت أيضا المعاملات الربوية، وتفاصيلها كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

وقد أمر الإسلام الباعة ونحوهم بالنصح للمسلمين ونهاهم عن غشهم وخداعهم، وقد ثبت أن النبي ﷺ حث على النصيحة فقال: "الدين النصيحة"، وكررها ثلاثا، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم". [7]

فجعل من جملة خصال الدين النصيحة لعامة المسلمين، ولا شك أن النصيحة تستدعي إخلاصا، وتستدعي صفاء قلب، وتستدعي مودة. فالناصح هو الذي يحب الخير لإخوانه المسلمين كما يحب لنفسه، ولا يؤثر مصلحته على مصلحة أي مسلم.

وقد جعل الرسول ﷺ النصيحة من خصال الخير، وأنها من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، فقال ﷺ: "للمسلم على المسلم ست بالمعروف: تسلم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا

---

[1] حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر". أخرجه مسلم برقم (1513).

[2] حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن النبي ﷺ نهى عن بيع حبل الحبلة، وكان بيعا يتبايعه أهل الجاهلية، كان الرجل يبتاع الجزور إلى أن تنتج الناقة، ثم تنتج التي في بطنها". أخرجه البخاري (298/4، 299). ومسلم برقم (1514).

[3] لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة والمنابذة". أخرجه البخاري (300/4)، ومسلم برقم (1511).

[4] أيضا.

[5] لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة". أخرجه مسلم برقم (1513).

[6] لحديث أبي سعيد رواه أحمد برقم (11363) وابن ماجه برقم (2196)، (ضعفه الألباني).

[7] أخرجه مسلم برقم (55) وأبو داود برقم (4944).

دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتتبع جنازته إذا مات، وتنصحه إذا استنصحك"[1]، وفي رواية: "وتحب له ما تحب لنفسك".

فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو مرشد الأمة، والذي هو ناصحهم قد حثنا على أن يحب أحدنا لأخيه ما يحبه لنفسه.

فإنها لا تقتصر النصيحة على أمور العبادات أو الأمور الشخصية، بل تدخل في كل شيء، ومن جملة ذلك (النصح في المعاملات). ولكننا في هذا الزمان نجد خلاف ذلك فهناك الكثير من الباعة –هداهم الله– لا ينصحون المشتري، ولا يظهرون العيوب التي توجد في السلعة، فترى أحدهم يظهر السلعة على أنها جيدة، وهي في الحقيقة رديئة، ولا يخبر برداءتها!

وهذا ليس من النصح، بل من الغش والخداع، وقد حرم الله ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال: "من غشنا فليس منا"، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام مرّ على رجل يبيع طعاما من الحبوب ونحوها، فأدخل يده فيه فأصابت بللا –يعني رطوبة– فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال أصابته السماء يا رسول الله! يعني: المطر، قال: "هلا جعلته في أعلاه كي يراه الناس! من غشنا فليس منا".[2]

فأمره أن يجعل الطعام الذي أصابه المطر في الأعلى حتى يراه الناس، لأنه إذا جعل أعلاه يابسا، ثم عند الكيل أخذ من الرطب، وباعهم إياه، إما كيلا أو وزنا، فإنه يبيعهم شيئا ليس بخالص، وليس بصاف، فيكون قد أوقعهم في غش وخداع، وباعهم ما ليس بطيب، أي: باعهم الشيء المغشوش الرديء على أنه جيد!!

وهذا ما يقع فيه كثير من الناس اليوم، ويحتالون بحيل كثيرة ليكتسبوا بها الأموال، فيبيعون مثلا السلع الرديئة غير مبينين عيوبها! ولا شك أن هذا مما يفسد الأموال، ومما يدخل على الإنسان السحت والحرام، فعلى الإنسان أن يحرص على طيب مكسبه بألا يدخل عليه إلا كسبا حلالا، فلا يتغذى إلا بالغذاء الطيب، ففي الغذاء الطيب تأثير في العقل، وتأثير في النفس، وتأثير في العبادة، وتأثير في المجتمع.

والغذاء الطيب والمكسب الحلال يكسب البدن قوة ويكسب القلب صفاء وإخلاصا. كما أن الغذاء الطيب يكون سببا في قبول الأعمال، وإجابة الدعوات.

---

[1] أخرجه مسلم برقم (2162)، والترمذي برقم (2737).

[2] أخرجه مسلم برقم (102)، والترمذي برقم (1315)، وابن ماجه برقم (2224).

والغذاء الطيب يكون سببا في بركة الله ومباركته للأعمال والأعمار والأموال، وأثر ذلك واضح، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "كل لحم نبت على سحت فالنار أولى به". [1]

والمراد أنه إذا تغذى الإنسان بالسحت، الذي هو المال الحرام بجميع أنواعه، فالنار أولى به والعياذ بالله!

وقد بين النبي ﷺ أن من أسباب إجابة الدعاء إطابة المطعم فقال لسعد: "يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة". [2]

وهذا مشاهد، فالإنسان كلما اقتصر على الحلال، وعلى الكسب الطيب، الذي ليس فيه أدناس من الحرام، ولا من المشتبه فإن الله تعالى يجعل دعاءه مستجابا، إن دعا الله برزق رزقه، وإن دعا ربه بكشف ضره كشفه، وإن دعا لنفسه قُبِل دعاؤه، وإن دعا للمسلمين استجيبت دعوته.

وهذه كلها من فوائد إطابة المطعم، وأما إذا كان المطعم خبيثا فإن الدعاء مردود!!

وقد ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) [المؤمنون: 51]. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) [البقرة: 172]. ثم ذكر ﷺ: "الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول يا رب... يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام!! فأنّى يستجاب لذلك؟!" [رواه مسلم] [3]

فتأمل أخي المسلم كيف ذكر ﷺ أن من أسباب استجابة الدعاء إطالة السفر، فإن المسافر طويل السفر يكون رقيق القلب، ويكون خاشعا متواضعا، وذلك من أسباب إجابة الدعاء، ومع ذلك ما استجيب دعاءه!!

لماذا!!

لأن مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام!

---

[1] أورده السيوطي في الدر المنثور (284/2).
وقد قال ﷺ في وصيته لكعب بن عجرة: "لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، النار أولى به". أخرجه الإمام أحمد (321/3، 399)، وصححه ابن حبان (1569) و (1570). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (4395).

[2] أورده المنذري في الترغيب والترهيب (547/2)، قال الألباني رحمه الله: في إسناده ضعف شديد.

[3] أخرجه مسلم برقم (1015)، وأحمد في المسند (328/2).

كذلك وصفه بأنه أشعث أغبر، يعني متضعف، متذلل، ليس له عناية ببدنه، فرأسه قد تشعثت، ووجهه قد أغبر، وهذا من صفة التذلل، ومع ذلك ما استجيب دعاؤه!! مع أن الله يجيب دعاء خاشع القلب، كما ورد في الحديث الشريف: "رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره".[1]

وكذلك من أسباب إجابة الدعاء رفع اليدين، كما يقول ﷺ: "إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا"[2] أي خاليتين، ومع ذلك لم يجب دعاؤه!! وسبب ذلك خبث المطعم، نسأل الله العافية.

وكذلك من أسباب الاستجابة تكرار النداء: "يا رب... يا رب" فهو معترف بربوبية مولاه، وأنه ربه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه ومع ذلك لم يجب دعاؤه. وهذا لا شك أنه بسبب أكل الحرام والإصرار على أكله، نسأل الله العافية والسلامة.

فالمسلم يحرص على إطابة مطعمه، حتى تجاب دعواته وتقبل صلواته، وسائر عباداته، وقد قال النبي ﷺ: "إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم يقول: ألا إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه".[3]

فنأخذ من هذا الحديث أن المكاسب على ثلاثة أقسام: قسم حلال واضح الحل، وقسم حرام واضح الحرمة، وقسم مشتبه، يشتبه على بعض الناس.

فأنت إذا رزقك الله علما وبصيرة عرفت الكسب الحلال، لأن الحلال تطمئن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، ولأن الحلال آثاره واضحة، وأدلته صحيحة صريحة.

وأما الحرام فهو واضح أيضا، يعرفه الجاهل والعامي، والصغير والكبير، ومع ذلك يأكله الكثير من الناس ويتملكونه، مع علمهم بأنه حرام!!

---

[1] أخرجه مسلم برقم (2622)، والحاكم في المستدرك (328/4).
[2] أخرجه أبو داود برقم (1488)، والترمذي برقم (3556)، وابن ماجه برقم (3866) من حديث سلمان رضي الله عنه، وصححه الألباني.
[3] أخرجه البخاري برقم (2051) ومسلم برقم (1599)، وأبو داود برقم (3329).

أما المشتبه فهو الواسطة بين هذا وذاک، ولا يعرفه إلا الخواص من خلق الله، وعلماء المسلمين ومتبصروهم، أما الجهلة وعوام الناس فهم لا يتحققون من أي القسمين هو ؟!

ومن الناس من يقول: إذا لم يكن من الحرام الصريح، فإننا سنأخذه ونتعامل به، ونجعله كسبا ما دامت حرمته لم تتحقق! وأن الأصل الإباحة! وهؤلاء لا شک قد يقعون في الحرام أحيانا.

وقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلا بالراعي الذي يرعى غنمه حول أرض قد حماها ملک من الملوک، له سطوة، وله هيبة، فهذا الذي جاء يرعى دوابه حولها قد يغفل وقد يسهو وقد ينام، فترتع دوابه في هذا الحمى، فيأتيه حراس الملک، فيقبضون عليه ويصادرون أمواله، وربما حبسوه وضربوه! ويقولون له: لماذا جئت حول هذه الأرض وأنت تعرف أنها حمى لهذا الملک؟!

وهكذا الذي يتعامل بمثل هذه المعاملات المشتبهة، فهو يقع أحيانا في كثير من الأمور المحرمة، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام".

ولذا نحث إخواننا المسلمين على أن ينزهوا أنفسهم عن المشتبهات التي يُخاف أن تكون وسيلة إلى إيقاعهم في الحرام، فإنهم إذا فعلوا وتنزهوا اسلم بذلک دينهم وعرضهم، وهذا معنى قوله: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه".

أي يسلم من الوصمة، ويسلم من القدح، ويسلم دينه وتسلم عبادته مما يقدح فيها، ومما ينقصها ويبطلها أو ينقص ثوابها.

وأما صيانتک لعرضک، فإنک إذا ابتعدت عن المشتبهات لم يجد الناس طعنا يطعنون به في عرضک، ولم يقدحوا في عدالتک، ويسلم أيضا عرضک من الناس، ولم يتكلموا عنک إلا بخير، أما إذا ارتكبت شيئا من المشتبهات فإنک تدعو الناس لسبک وعيبک، والقدح في ديانتک، عن علم أو عن جهل! أو عن تصور خاطئ!!

(يتبع)

***

آداب إسلامية

آداب صلاة العيدين

(2 – 2) الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

19– تصلى صلاة العيد في المسجد إذا كان يوم مطر لحديث أبي هريرة رضي الله عنه "أنه أصابهم مطر في يوم عيد، فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد في المسجد". [1]

20– ليس من سنن العيدين أن يخطب الخطيب يوم العيد على المنبر، فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس – والناس جلوس على صفوفهم – فيعظهم، ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به، ثم ينصرف، قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان – وهو أمير المدينة – في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير من الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة. [2]

وجاء في رواية ابن حبان من طريق داود بن قيس عن عياض "فينصرف إلى الناس قائما في مصلاه".

ولابن خزيمة في رواية مختصرة "خطب يوم عيد على رجليه" وهذا مشعر بأنه لم يكن بالمصلى في زمانه صلى الله عليه وسلم منبر، ويدل على ذلك قول أبي سعيد "فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان" ومقتضى ذلك أن أول من اتخذه مروان، وقد وقع في المدونة لمالك، ورواه عمر بن شيبة عن أبي غسان عنه قال "أول من خطب الناس في المصلى على المنبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت، وهذا معضل. [3]

---

[1] رواه أبو داود 257، باب يصلي بالناس العيد في المسجد إذا كان يوم مطر رقم (1160) وضعفه الألباني.
[2] رواه البخاري 6 باب الخروج إلى المصلى بغير منبر: 956.
[3] فتح الباري 521/2.

تبين بهذا الحديث الشريف أن الخروج إلى المصلى يوم العيد بمنبر و الخطبة عليه بدعة مخالفة للسنة النبوية الشريفة.

21–يكره أن يحمل السلاح يوم عيد، فقد روى عبد الرزاق بإسناد مرسل قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج بالسلاح يوم العيد، وروى ابن ماجه بإسناد ضعيف عن ابن عباس "أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يلبس السلاح في بلاد الإسلام في العيد، إلا أن يكونوا بحضرة العدو". [1]

22–ومن الأدب إذا فات أحدا العيد أن يصلي ركعتين، فقد روى الفريابي في مصنفه عن الثوري عن ابن جريج عن عطاء قال: "من فاته العيد فليصل ركعتين". [2]

قال الحافظ: في هذه الترجمة حكمان: مشروعية استدراك صلاة العيد إذا فاتت مع الجماعة سواء كانت بالاضطرار أو الاختيار، وكونها تقضى ركعتين كأصلها، وخالف في الأول جماعة منهم المزني فقال: لا تقضى، وفي الثاني الثوري وأحمد قالا: إن صلاها وحده صلى أربعا، ولهما في ذلك سلف: قال ابن مسعود: "من فاته العيد مع الإمام فليصل أربعا" أخرجه سعيد بن منصور بإسناد صحيح، وقال إسحاق: إن صلاها في الجماعة فركعتين وإلا فأربعا. [3]

23–من أدب العيدين أن يجهر بالقراءة في الركعتين، فعن جعفر بن محمد مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كبروا في العيدين والاستسقاء سبعا وخمسا، وصلوا قبل الخطبة، وجهروا بالقراءة". [4]

24–ويسن تقديم الأضحى ليتسع وقت التضحية، وتأخير الفطر ليتسع وقت إخراج صدقة الفطر، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم "أن أخر صلاة الفطر وعجل صلاة الأضحى". [5]

---

[1] فتح الباري 528/2.
[2] فتح الباري 551/2.
[3] فتح الباري 550/2.
[4] رواه الشافعي.
[5] أخرجه البيهقي في السنن (282/3).

25–يكثر التكبير في خطبة العيدين لما روى سعد مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم "كان يكثر التكبير في خطبة العيدين بين أضعاف الخطبة. [1]

26–يخطب قائما لما روى جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فطر أو أضحى فخطب قائما ثم قعد ثم قام. [2]

قال ابن قدامة المقدسي: "وإن خطب قاعدا فلا بأس، لأنها غير واجبة أشبهت صلاة النافلة، وإن خطب على راحلته فحسن، لما روى سلمة بن نبيط عن أبيه أنه حج فقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على بعيره، رواه ابن ماجه، وعن أبي جميلة قال: رأيت عليا عليه السلام صلى يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب على دابته، ورأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب على راحلته، رواه سعيد. [3]

27– السنة أن يكبر في الأضحى في جميع الأوقات من أول العشر إلى آخر أيام التشريق لقوله تعالى: "ويذكروا اسم الله في أيام معلومات" (الحج: 28) وقال: "واذكروا الله في أيام معدودات" (البقرة: 203) قال البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، وروي أن ابن عمر كان يكبر بمنى في تلك الأيام خلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعا ويكبر في قبته حتى ترتج منى تكبيرا. [4]

28–وقيل يبتدئ التكبير من غداة عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق، فقد روى جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح من غداة عرفة أقبل على أصحابه فيقول: "على مكانكم" ويقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد" فيكبر من غداة عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق، وعن علي وعمار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكبر يوم عرفة صلاة الغداة ويقطعها صلاة العصر آخر أيام التشريق. رواهما الدارقطني إلا أنهما من رواية عمر بن شمر عن جابر الجعفي وقد ضعفا. [5]

---

[1] أخرجه ابن ماجه (1/ح1287) وقال الألباني: ضعيف.
[2] أخرجه ابن ماجه (1/ح1289) وضعفه الألباني.
[3] المغني 122/3، طبع دار الحديث القاهرة.
[4] المغني 130/3.
[5] المغني 130/3.

29 – وصفة التكبير ما يلي: "الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد".[1]

قال مالك والشافعي: يقول: الله أكبر الله أكبر ثلاثا، لأن جابرا صلى في أيام التشريق، فلما فرغ من صلاته قال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.[2]

30 – يشرع أن يكبر عقيب كل صلاة مكتوبة صلاها في جماعة حتى يكبر لصلاة العصر من آخر أيام التشريق ثم يقطع.[3]

قال ابن قدامة المقدسي: "المشروع عند إمامنا رحمه الله التكبير عقيب الفرائض في الجماعات في المشهور عنه، قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: أذهب إلى فعل ابن عمر إنه كان لا يكبر إذا صلى وحده؟ قال أحمد نعم، وقال ابن مسعود: إنما التكبير على من صلى في جماعة، وهذا مذهب الثوري وأبي حنيفة، وقال مالك: لا يكبر عقيب النوافل، ويكبر عقيب الفرائض كلها، وقال الشافعي: يكبر عقيب كل صلاة فريضة كانت أو نافلة، منفردا صلاها أو في جماعة، لأنها صلاة مفعولة، فيكبر عقيبها كالفرض في جماعة.[4]

31 - ويسن للمسافرين أن يكبروا كما يكبر المقيمون، وحكم المسافرين كحكم المقيمين في ذلك.[5]

32 – ويستحب للنساء أن يكبرن في الجماعة، فقد روى البخاري في صحيحه: "كان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان، وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد"[6]، قال ابن قدامة المقدسي: "وينبغي لهن أن يخفضن أصواتهن حتى لا يسمعهن الرجال".[7]

33 – ويستحب الاجتهاد في عمل الخير في أيام العشر من الذكر والصلاة والصيام والصدقة وسائر أعمال البر، لما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما العمل في

---

[1] المغني 131/3.
[2] المغني 131/3.
[3] المغني 131/3.
[4] المغني 131/3، 132.
[5] انظر للتفصيل المغني 132/3.
[6] أخرجه البخاري في الصحيح (25/2).
[7] المغني 132/3.

أيام أفضل منها في هذه الأيام، قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء". [1]

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام أعظم عند الله تعالى ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد". [2]

34– ويستحب أن يخرج إلى العيد ماشيا وعليه السكينة والوقار، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يركب في عيد ولا جنازة. [3] وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى العيد ماشيا ويرجع ماشيا. [4] وقال علي رضي الله عنه: من السنة أن يأتي العيد ماشيا. [5] قال ابن قدامة المقدسي: "وإن كان له عذر وكان مكانه بعيدا فركب فلا بأس، قال أحمد: نحن نمشي ومكاننا قريب، وإن بعد ذلك عليه فلا بأس أن يركب، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير "أنه سمع عمر بن عبد العزيز على المنبر يوم الجمعة يقول: "إن الفطر غدا فامشوا إلى مصلاكم، فإن ذلك كان يفعل، ومن كان من أهل القرى فليركب فإذا جاء المدينة فليمش إلى المصلى". [6]

تبين مما تقدم من الأحاديث والآثار أن السنة الخروج إلى العيد مشيا على الأقدام، ولكني أرى في هذا الزمان أن كثيرا من الناس يخرجون إلى العيد راكبين على الدراجات الهوائية أو النارية أو السيارات ونحو ذلك من المراكب الحديثة، وقد مر قريبا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من سيرته الشريفة الخروج إلى العيد مشيا على الأقدام مع وجود الدواب والرواحل في عهده صلى الله عليه وسلم. فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبع.

***

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه" (2/24، 25) وابن ماجه (1/ح 1727).

[2] رواه الإمام أحمد.

[3] أخرجه أبو داود (3/ح 3177) وقال الألباني: صحيح.

[4] أخرجه ابن ماجه (1/ح 1295) وقال الألباني: حسن.

[5] أخرجه الترمذي (2/ح 530) من حديث علي، وقال الألباني: حسن.

[6] المغني 106/3.

الحفظ

أهميته، عجائبه، طريقته، أسبابه

(3) عبدالقيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

المبحث الثالث: عجائب في كثرة المحفوظ:

من العجائب في الحفظ كثرة المحفوظ، فمن الحفاظ من يحفظ قدرا كبيرا، ولهم طرائق متنوعة في بيان قدر المحفوظ، وإليك نبذا من خبرهم في ذلك:

منهم: من يقدر حفظه بالآلاف أو مئات الآلاف من الأحاديث النبوية، ومن هؤلاء:

1–عبدان (ت 136):

قال علي النيسابوري: فأما عبدان فكان يحفظ مائة ألف حديث.[1]

2–إسماعيل بن عياش (ت 182):

قال داود بن عمرو الضبي: كان إسماعيل – يعني ابن عياش – يحدثنا من حفظه، ما رأيت معه كتابا قط. فقال له عبد الله بن أحمد: أكان يحفظ عشرة آلاف حديث؟ فقال: وعشرة آلاف وعشرة آلاف.[2]

3–عبد الرحمن بن مهدي (ت 198):

قال عبيد الله بن عمر القواريري: أملى عليّ عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظا.[3]

4–أبو داود الطيالسي (ت 204):

قال عمرو بن علي الفلاس: ما رأيت في المحدثين أحفظ من أبي داود الطيالسي! سمعته يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر، وفي صدري اثنا عشر ألف حديث لعثمان البزي ما سألني عنها أحد من أهل البصرة فخرجت إلى أصبهان فبثثتها فيهم.[4]

قال عمر بن شبة: كتبوا عن أبي داود الطيالسي أربعين ألف حديث وليس معه كتاب.[5]

---

[1] الحث على حفظ العلم ص 43، تذكرة الحفاظ (689/2).

[2] تذكرة الحفاظ (254/1).

[3] كتاب الحدائق لابن الجوزي (24/1)، تذكرة الحفاظ (330/1).

[4] كتاب الحدائق (24/1).

[5] كتاب الحدائق لابن الجوزي (25/1)، والحث على حفظ العلم ص 38.

5– يزيد بن هارون (ت 206):

قال يزيد بن هارون: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر، وأحفظ لشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل عنها.[1]

أبو حفص ابن الطباع (ت 224هـ)

قال أبو داود: كان يحفظ نحوا من أربعين ألف حديث.[2]

7– أحمد بن حنبل (ت 241):

قال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث. قيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.[3]

قال الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك. وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.[4]

8– محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256):

قال محمد بن إسماعيل البخاري: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.[5]

9– أبو زرعة الرازي (ت 264):

قال أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى: رحلت إلى البصرة ألقى المشايخ أبا الربيع الزهراني وهدية بن خالد وسائر المشايخ، فبينا نحن قعود في السفينة إذا أنا برجل يسأل رجلا فقال: ما تقول – رحمك الله – في رجل حلف بطلاق امرأته ثلاثا أنك تحفظ مائة ألف حديث؟ فأطرق رأسه مليا ثم رفع، فقال: اذهب يا هذا فإنك بار في يمينك، ولا تعد إلى مثل هذا!! فقلت: من الرجل؟ فقيل لي: أبو زرعة الرازي.[6]

---

[1] تاريخ بغداد (14/339-340)، وتذكرة الحفاظ (1/318).
[2] تهذيب الكمال (26/263) تذكرة الحفاظ (1/411).
[3] تاريخ بغداد (4/419–420)، الحدائق لابن الجوزي (1/25).
[4] السير (11/187).
[5] السير (12/415).
[6] الحدائق لابن الجوزي (1/26).

قال أبو القباني محمد بن جعفر بن حمكويه: سئل أبو زرعة الرازي: عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث؟ فقال: لا.[1]

قال أحمد بن حنبل: ما جاوز الجسر أحفظ من أبي زرعة، قد حفظ ست مائة ألف حديث.[2]

10- ابن عقدة (ت 332):

قال ابن عقدة: أحفظ من الحديث بالأسانيد والمتون خمسين ومائتي ألف حديث، وأذاكر بالأسانيد، وبعض المتون والمراسيل والمقاطيع ست مائة ألف حديث.

قال أبو بكر بن أبي دارم الحافظ: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن سعيد (المعروف بـ ابن عقدة) يقول: أحفظ لأهل البيت ثلاث مائة ألف حديث.[3]

قال ابن عقدة: دخل البرديجي الكوفة، فزعم أنه أحفظ مني، فقلت: لا تطول، نتقدم إلى دكان وراق ونزن بالقبان من الكتب ما شئت ثم تلقي علينا فنذكره! قال: فبقي.[4]

11- أبو أحمد العسال (ت 349):

قال أبو أحمد العسال: أحفظ في القراءات خمسين ألف حديث، ويقال: إنه أملى تفسيرا كبيرا من حفظه.[5]

12- أبو بكر الجعابي (ت 355):

قال أبو بكر الجعابي: أحفظ أربع مائة ألف حديث، وأذاكر بست مائة ألف حديث.[6]

13- إسماعيل بن يوسف:

إسماعيل بن يوسف كان يحفظ أربعين ألف حديث، ويذاكر بسبعين ألف حديث.[7]

ومنهم: من يقدر حفظه، بآلاف الأبيات من الشواهد النحوية، أو القصائد الشعرية، ومن هؤلاء:

1- علي بن المبارك الأحمر (ت 194):

---

[1] الحدائق لابن الجوزي (26/1).

[2] الحث على حفظ العلم ص 44.

[3] تاريخ بغداد (5/16-17)، والسير (15/346-347).

[4] تذكرة الحفاظ (3/840)، والسير (15/344-345).

[5] تذكرة الحفاظ (3/887).

[6] الحث على حفظ العلم ص 62، السير (16/90).

[7] الحث على حفظ العلم ص 31.

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كان علي الأحمر يحفظ أربعين ألف بيت شاهدا في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد و أبيات الغريب. [1]

2-عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216):

قال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ستين ألف أرجوزة [2]. وفي رواية قال: ستة عشر ألف أرجوزة [3].

قال العسكري: كان الأصمعي يحفظ اثنتي عشرة ألف أرجوزة، فيها ما كان عدد أبياته المائة و المائتين. [4]

3-أبو تمام (ت 232):

قيل: كان أبو تمام يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب. [5]

4-أبو بكر الأنباري (ت 328):

قال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل (300,000) ثلاث مائة ألف بيت شاهدا في القرآن. [6]

5-أبو الفتح ابن العميد (ت 366):

قال العسكري: كان يحفظ أكثر من مائتي ألف بيت. [7]

6-أبو الفرج الشنبوذي (ت 387):

قال أبو الفرج الشنبوذي: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقراءات. [8]

ومنهم من يقدر حفظه بالكتب، ومن هؤلاء:

1-أبو زكريا الفراء (ت 207):

قال سلمة: أملى الفراء كتبه كلها حفظا. [9]

---

[1] تاريخ بغداد (104/12).

[2] الحث على حفظ العلم ص 46.

[3] تهذيب التهذيب (622/2).

[4] الحث على طلب العلم ص 79.

[5] السير (68/11).

[6] الحث على حفظ العلم ص 58، وتذكرة الحفاظ (842/3-843)

[7] الحث على طلب العلم ص 79.

[8] تاريخ بغداد (272/1).

[9] السير (120/10).

2-أبو بكر الأنباري (ت 328):

ذكروا أنه يحفظ عشرين ومائة من تفاسير القرآن بأسانيدها. [1]

مرض أبو بكر بن الأنباري في زمن أبيه فقلق أبوه، وقال: كيف لا أقلق على من يحفظ جميع ما في هذه الصناديق من الكتب.

أملى ابن الأنباري من حفظه غريب الحديث وهو خمس وأربعون ألف ورقة، وكتاب شرح الكافي وهو ألف ورقة، وكتاب الأضداد ألف ورقة، والجاهليات سبع مائة ورقة. [2]

كان أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاث عشر صندوقا. [3]

3-أبو عمر المعروف بغلام ثعلب (ت 345):

قال أبو علي: من الرواة الذين لم نر قط أحفظ منهم أبو عمر محمد بن عبد الواحد العروف بغلام ثعلب أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، فيما بلغني، وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف. [4]

ومنهم: من يقدر حفظه بالزمن —الزمن الذي يقرأ فيه محفوظه— ومن هؤلاء.

1-الشعبي (ت 104):

قال الشعبي: ما سمعت منذ عشرين سنة من رجل يحدث بحديث إلا وأنا أعلم به منه. [5]

قال الشعبي: ما أروي شيئا أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهرا لا أعيد. [6]

2-معمر بن راشد (ت 153):

قال يحيى بن معين: قال هشام بن يوسف: أقام معمر عندنا عشرين سنة ما رأينا له كتابا. يعني كان يحدثهم من حفظه. [7]

3-يونس بن حبيب النحوي (ت 182):

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: اختلفت إلى يونس أربعين سنة كل يوم أملأ ألواحي من حفظه وأنصرف. [8]

(يتبع)

***

---

[1] الحث على حفظ العلم ص 58، وتذكرة الحفاظ (3/842-843).
[2] الحث على حفظ العلم ص 58-59.
[3] الحدائق لابن الجوزي (27/1)، وتذكرة الحفاظ (843/3).
[4] تاريخ بغداد (357/2)، والحدائق لابن الجوزي (27/1).
[5] تذكرة الحفاظ (88/1).
[6] تذكرة الحفاظ (84/1).
[7] السير (8/7).
[8] كتاب الحث على طلب العلم للعسكري. ص 70، وفيات الأعيان (244/7).

أهمية المشافهة في تعليم اللغة العربية

د. أحمد زياد محبّك

ما أهم المناشط في تعليم اللغة العربية؟ هل تكفي القراءة والكتابة وسيلة لتعليم العربية؟ هل هما أهم من المحادثة أو الاستماع مثلا؟ هل الكتاب والملخصات والمدونات هي الوسيلة المثلى لتعليم العربية؟ لماذا غاب الاختبار الشفهي عن الامتحانات؟

هذه بعض الأسئلة التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها.

ليست اللغة حروفا وكلمات مكتوبة، ولا صحفا وأوراقا، إنما هي في المقام الأول ألفاظ منطوقة، وأصوات مسموعة، ثم جاءت الحروف والكلمات، والجمل والعبارات المنضودة في الصحف والأوراق، رموزا تدل على اللغة. ويتعلم المرء اللغة أول ما يتعلمها أصواتا وألفاظا منطوقة، من خلال المحادثة والاستماع، ويظل يمارس اللغة على هذا النحو مدة من الزمن، ثم يتعلمها حروفا وكلمات، فيمارس القراءة والكتابة، ولكنه لا ينقطع عن تعلمها محادثة واستماعا.

والتعليم الحق لا يكون في الواقع إلا بهذه المهارات الأربع: المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، ويؤكد معظم الدارسين أولوية المحادثة والاستماع، لأن اللغة في طبيعتها وسيلة اتصال بين الناس من خلال اللفظ والصوت، قبل أن تكون وسيلة كتابة بالحرف.

ويتضح ذلك في اللغة العربية، فقد كانت في معظمها لغة شفاهية، تقوم على الصوت قبل الكتابة، والحفظ قبل التدوين، وهذا لا يضيرها في شيء، بل هو خصيصة تميزها.

ويؤكد ذلك النصوص الأدبية التي تجلت فيها تلك اللغة، والمقصود بتلك النصوص الشعر، الذي كان يتم تناقله شفاها بالحفظ والرواية من جيل إلى جيل على ما يزيد على مئتي عام قبل الإسلام ومئة عام بعده، إلى أن كان التدوين، وما كان يدوّن من قبل فهو نادر جدا، وقليل، بل كان لا يدون إلا لقيمة فنية واجتماعية واعتبارية معينة، على نحو ما كان من تدوين المعلقات وتعليقها على أستار الكعبة.

ثم نزل الوحي الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم شفاها، وتلقاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم سماعا وحفظا، وليس في ألواح مكتوبة ولا رقم، وكذلك رتّله على أصحابه من حوله، وكذلك تلقوه بالسماع والحفظ في الصدور، لا في السطور.

ولم يلجأ أبوبكر وعثمان رضوان الله عليهما، فيما بعد إلى جمع القرآن الكريم في مصحف وتوزيعه على الأمصار إلا للحفاظ على وحدة النص، وظل القرآن الكريم يتلى كما كان يتلوه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتلقاه الرجال ويسمعونه ويحفظونه، وفي أثناء ذلك كله، يتم الحفاظ على طبيعة الصوت واللفظ، كي يتلى القرآن ويرتل ويجود تعبدا لله تعالى، وامتثالا لأمره {ورتل القرآن ترتيلا}، واتباعا لسنة رسوله بتجويد القرآن.

وهكذا يتم تعليم العربية، من خلال القرآن الكريم، بالسماع والنطق، عبر المشافهة والحفظ، وتلقي الرجال بعضهم عن بعضهم، حضورا ومشافهة، وعندما جاء التدوين في مرحلة تالية، وتنقيط المصحف وضبطه، إنما جاء لا ليكون التعليم من المصحف المكتوب، إنما ليكون المصحف المكتوب بعلاماته ورموزه الكتابية معينا على الحفاظ على اللفظ والنطق والترتيل والتجويد، وما يزال كذلك إلى اليوم.

وفي هذا ما يؤكد أهمية السماع واللفظ، والحفظ والمشافهة، وهذا كله من خلال القرآن الكريم الذي منح العربية خصوصية تميزها من غير شك. وإذا المسلم اليوم يتلو القرآن الكريم بأصوات حروفه وألفاظه وسكناته وحركاته ومدوده وإمالاته ووقفاته وترقيقه وتفخيمه وإدغامه وإظهاره وإقلابه كما كان يتلوه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون، على نحو من الأنحاء، يتم فيه الحفاظ على أصوات العربية.

ويؤكد ذلك على سبيل المثال أن العربي في مصر يلفظ الجيم في حديثه اليومي أقرب إلى الكاف المفخمة، ولكنه حين يتلو القرآن الكريم يلفظ الجيم كما يجب أن تلفظ. وكذلك أحرف من نحو الذال والظاء والثاء، قد يلفظها العربي في بعض الأقطار العربية بصورة غير صحيحة، ولكنه حين يتلو القرآن الكريم يلفظها على نحو ما يجب أن يلفظها بوصفها أحرفا لثوية.

ولم تكن المشافهة وسيلة لتواتر القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بل كانت أيضا وسيلة لنقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظ الشعر، وتدوين الأخبار والوقائع، ولذلك ظهرت مصطلحات من نحو: حدثنا فلان عن فلان، وسمعت فلانا، وقرأت على فلان، وشاعت هذه المصطلحات في علم الحديث، وفي كتب الأدب واللغة، وفي كتب التاريخ والأخبار، وكان الخبر المروي شفاها وسيلة للتدوين والتأليف، وكانت المشافهة وسيلة لنهوض علوم كعلم الحديث واللغة والنحو والعروض والتاريخ.

إن ما تعتز به علوم العربية حقا هو نهوضها على المشافهة، أي على التعليم الذي يكون بلقاء الإنسان الإنسان، وتواصله معه، عبر اللغة، ناقلة العلم، وليس من خلال الصحف والأوراق وحدها.

على أن هذا لا يلغي قيمة الحرف والكتابة، ولا أهمية الصحف والأوراق، فقد دونت العلوم كلها، وتحولت إلى كتب، وافتتحت دكاكين الوراقين، وكان الكتاب يحمل على ظهور الإبل من المشرق إلى المغرب، ومن صقع إلى صقع، وتفنن الوراقون في رسم الحرف، وتزيين صفحات الكتاب بالرسوم، وكان المترجم يمنح زنة كتابه ذهبا، وقد أشاد الجاحظ مطولا بالكتاب، وقدّم وصفا له، يدل على تقدير الحضارة العربية للكتاب. على أن هذا كله ظل مرتبطا بالمشافهة، ولم يقم الكتاب وحده بمهمة التعليم، بل كان وسيلة لها، وكان الأساس هو القراءة على الأستاذ، والاستماع إليه، وهو ما نسميه المحادثة والاستماع، وهو ما اختصرناه بالمشافهة ، وقد ظلت المشافهة مستمرة إلى جانب الكتاب، وإذا دل هذا كله على شيء فإنه يدلّ على أن للسماع الأثر الكبير في حفظ العربية ونقلها من جيل إلى جيل.

وقديما كان أجدادنا يأخذون على المتعلم أخذه عن الصحف وحدها، فيقولون عنه: صحفي، لأن التعليم الحق يكون بالجلوس إلى المعلمين في حلقات التعليم في المساجد، وبقراءة التلميذ الكتاب على أستاذه، في جلسات تمتد ربما أعواما حتى يتم الكتاب الذي يقرؤه على أستاذه، في حضور تلامذة آخرين، والقراءة تتضمن السؤال والجواب عن قضايا في الأدب واللغة والنحو والإعراب وجوانب العلم الذي يقرأ فيه، إن طبا فطب وإن رياضيات فرياضيات، وهكذا.

وهذا يدل على ارتباط التعليم دائما بالمشافهة، ولا يكون المتعلم متعلما لمجرد إتقانه القراءة والكتابة، أي لمجرد معرفته الألفاظ والحروف، لأنها محض رموز تدل على اللغة، وليست اللغة نفسها، ولذلك كانت اللغة تسمى لسانا، لأن اللسان هو وسيلة النطق والتلفظ، وهو جزء أساسي في جهاز النطق، وكذلك كلمة اللغة نفسها في أحد الآراء، فما هي إلا من اللغو، الذي هو الحديث والكلام، ولذلك قالت العامة: العلم في الصدور لا في السطور، ساخرين ممن يجيد القراءة والكتابة ولكنه لا يفقه العلم ولا يحفظه.

ولذلك درس أجدادنا جهاز النطق لدى الإنسان وحددوا مخارج الحروف، ووصفوها، وصنفوها، وتقدم هذا العلم لديهم، واكتمل، ووصلوا فيه إلى نتائج علمية محددة، من غير أن تكون لهم آلات رصد الصوت، وقد وُضعت فيه عشرات المصنفات، وما يزال علما حيا يتم تلقيه، تحت اسم علم التجويد.

كما درس اللغويون مظاهر أخرى في الصوت كالروم والإشمام والإمالة والوقف، ووضعوا لها قواعدها وأصولها، مما يؤكد الحرص على تعليم النطق بالعربية والتلفظ بها وإجادة أصواتها.

ومن المؤسف تقصير العرب اليوم في مجال العناية بأصوات العربية ونطقها ولفظها في تعليمهم، ولاسيما الجامعي، وتحول التعليم فيها إلى قراءة نظرية في الصحف، وكتابة يؤديها الطالب في الامتحان من غير أن يقرأ أمام أستاذه، وفي حالات كثيرة من غير أن يستمع إلى إلقاء أستاذه، فأصبحت الكلمة المطبوعة وحدها الوسيلة إلى تلقي العربية، وصار المتخرج في قسم اللغة العربية، لا يجيد القراءة، ولا يحسن الإلقاء، ولا يقدر على الأداء الصحيح لأصوات لغته وهو المختص بها، والمعلم لها.

وربما كان مرجع ذلك إلى الأعداد الكبيرة للطلاب، وهو ما لا يتيح للمدرس أن يستمع إليهم جميعا، ولا يساعده على المحادثة معهم، ولكن هذا السبب على الرغم من قوته ليس مسوغا لغياب نشاط أساسي في عملية التعلم وهو المحادثة والاستماع، ليس في تعليم اللغة العربية وحدها، بل في تعليم العلوم كلها.

إن المحادثة والاستماع نشاطان أساسيان في عملية التعلم والتعليم، ولا تقوم العملية التعليمية على صورتها الصحيحة إلا بهما.

ومن المؤسف أن المقررات الجامعية في السنوات الأربع للاختصاصات كافة لا يتضمن أي منها مقرر المحادثة والاستماع، أي لا يتضمن مقررا شفهيا له علامة مستقلة، ويعد مادة مرسبة. وذلك أهمل الطالب مثلما أهمل المدرس على حد سواء أسلوب المحادثة والاستماع، واعتمد كلاهما على أسلوب التلقين والتدوين والملخصات واعتماد الكتاب والمادة المكتوبة وسيلة للتعلم والامتحان والنجاح، بعيدا عن المحادثة والاستماع، أي بعيدا عن تكوين جهاز نطقي سليم للمتعلم، يجيد من خلاله أداء لغته أداء فنيا صحيحا، فلا يخطئ في نطق، ولا يغلط في لفظ، ولا يزلّ في إعراب.

إن الطالب في قسم اللغة العربية يتقن قواعد النحو، ويجيد الإعراب، ويحسن تقطيع بيت الشعر على الورق كتابة بالخط، ولكنه بعد ذلك لا يجيد إلقاء بيت من الشعر، ولا يحسن قراءة بضعة أسطر، من غير أن يقع في عدة أخطاء، لأنه لم يتدرب على الإلقاء، ولم يمارس المحادثة، ولم يتقن فن الاستماع.

وبالنسبة إلى الامتحان فالأمر أكثر سوءا ، فهو امتحان كتابي، تختبر فيه معلومات الطالب كتابة، ويحقق الطالب النجاح بقدر ما يعيد من أقوال المدرس وما يكرر من المادة التي دوّنها في أثناء إلقائه المحاضرة، وقد أتقن الطلاب هذه اللعبة، فأخذوا يصطنعون الأمليات والكراسات يضمنونها محاضرات المدرس، ليعيدوا في الامتحان ما قاله، وليحظوا بأعلى الدرجات، ثم ينسوا كل ما حفظوه.

وعندما يخفق الطالب، لا يعرف لماذا أخفق، ولا يعرف أخطاءه، ولا تتاح له مراجعة أوراقه، ولا يتاح له محاورة مدرسه، والإصغاء إليه، ولا يستطيع المدرس أن يقف طلابه على أخطائهم، ومرجع هذا كله إلى وفرة الأعداد، وغياب عنصر المشافهة في التعليم.

ولقد تضمنت بعض المقررات ما يسمى حلقات بحث، ولها في المقرر الواحد عشرون درجة من مائة، وتسميتها تدل على أنها مجال للبحث بإشراف المدرس وما يكون في الإشراف من محادثة وحوار واستماع وتوجيه نحو المصادر والمراجع ومخطط للبحث ينتهي بأوراق مكتوبة لها درجة مقدرة.

ونظام حلقات البحث يتيح في الحقيقة للطالب والمعلم معا فرصة تحقيق المشافهة، محادثة واستماعا وحوارا، كما يتيح فرصة التدريب على البحث والعودة إلى المظان والمراجع، ولكن هذا النظام تحوّل في الواقع إلى أوراق مكتوبة يقدّمها في نهاية الفصل الطالب للمدرس، من غير أن يداوم في بعض الحالات، وإن داوم على المحاضرات فإن فرصة إلقاء البحث والاستماع إليه ومناقشته لا تكاد تتحقق.

وهكذا خرجت حلقات البحث من الهدف المنشود منها، وهو المحادثة والحوار والاستماع، والتعرف إلى المظان والمراجع، والتدرب على الكتابة وفق مخطط وتبعا لمنهج، فأصبحت محض وريقات مكتوبة، يجمع الطالب فيها معلومات من هنا وهناك، جمعا بطريقة ما، ثم يتقدم بها إلى المدرس، ولا يكاد يحاوره فيها، وفي حالات كثيرة، يأخذ حلقة بحث من زميل له سبقه بسنة أو بعدة سنوات، ولا يستطيع المدرس أن يضبط هذا.

وفي معظم الحالات غابت عن العملية التعليمية المشافهة بين المدرس والطالب، وحلّ نظام التلقين والتدوين، وأخذت الكلمة المكتوبة مكان الكلمة المنطوقة، وما عاد الطالب يمارس المشافهة في تعلمه.

إن المحادثة تعلم الطالب تنظيم أفكاره، وإعدادها، قبل النطق بها، كما تنمّي فيه حسّ البداهة، والمبادرة، وسرعة الكشف، وتُعوِّده على حسن الأداء، وسلامة النطق، وقوة التعبير، كما تدربه على تطبيق قواعد الإعراب، وتعلمه فن التأثير في الآخر، وجذب انتباهه، وإقناعه بالحجة، وهي وسيلة للتعلم، واكتساب المعرفة.

والمحادثة لا تكون من طرف واحد، إنما هي علاقة ذات طرفين، وبذلك تحقق البعد الاجتماعي، والتواصل مع الآخر، وتعلم المتحدث أصول الحوار، وشرط المحادثة من غير شك المعرفة والثقافة، والتهذيب والاحترام، وضبط الانفعالات، وتوجيه المشاعر، وهي تكسر مشكلات الخجل والإحراج والخوف، وتنمي شخصية الطالب.

ومن لوازم المحادثة الاستماع، وهو من مناشط اللغة، إذ لا يتقن المرء اللغة إلا بحسن الاستماع، ولا يتحقق إلا بالإصغاء إلى المتحدث بالعين والقلب والسمع، من غير مقاطعة حتى يتم حديثه، ويساعد على اكتساب المعرفة، وتنمية المدارك، وتقوية القدرة على الفهم والاستيعاب، والإحاطة بالمادة المسموعة، ونقدها، والحكم عليها، والتدخل بالحديث عند الضرورة، أو وفق الدور، وبالتهذيب وحسن البدء.

ومن أسف أن الطالب الجامعي كاد يعطل مهارة الاستماع لديه، بانهماكه بتدوين ما يلقيه المدرس في المحاضرة، وهو يعتمد اعتمادا كليا على ما يدونه، ولا يلقي بالا إلى ما يسمع، ولديه يقين بأنه سيقرأ فيما بعد ما دوّنه في دفتره، ولذلك لا يستوعب ما يسمع، ولا يحيط به، ولا يسأل مدرسه، ولا يحاوره، لأنه يرجئ الفهم والاستيعاب إلى مهارة أخرى يعوّل عليها هي القراءة للمادة المكتوبة، وبذلك كاد الطالب نفسه يلغي مهارة الاستماع والمحادثة باعتماده على التدوين والقراءة.

ومما لا شك فيه أننا لا ندعو إلى إلغاء القراءة بل نؤكد أهميتها، ولكن ليس على حساب المحادثة والاستماع، ومما لا شك فيه أيضا أن الاستماع نشاط صعب، إذ يقتضي التوجه إلى المتحدث بكل القوى الفاعلة والمنفعلة، واستيعاب ما يقوله، وهي عمليات صعبة، متعبة، سرعان ما يملّها الطالب ويتعب، ولذلك تأتي المحادثة والحوار مع المدرس، لتنعش الطالب، وتجدّد انتباهه، وتحثه على المتابعة، وإدراك مايسمع، وفهمه، والحوار على أساس منه.

ومرة ثانية تظهر مشكلة الأعداد الكبيرة للطلاب، إذ لا تساعد كثرة العدد كلا من المدرس والطالب على إتقان الاستماع والمحادثة، إذ يضطر المدرس إلى الاستمرار في الإلقاء، ولا يعطي فرصة للسؤال أو الحوار، كي لا يحدث الشغب في قاعته، وتعمّ الفوضى، وبالمقابل، يملّ الطالب من هذا الاسترسال في الإلقاء، ويتعب من طول الإصغاء، فينشغل بالكتابة، أو يتشاغل، ولا يستطيع المتابعة، ولا يحقق حسن الإصغاء.

إن التعليم الصحيح في المراحل كلها لا يتحقق إلا بالانطلاق من طبيعة اللغة وهي كونها أصواتا مسموعة وألفاظا منطوقة قبل أن تكون حروفا مكتوبة، وما الحروف المكتوبة إلا رموز لتلك الأصوات، ولا يتحقق التعليم الصحيح إلا بتحقيق جوهر اللغة، وهو الصوت المسموع، واللفظ المنطوق، انطلاقا من الإشارات المصوغة في حروف وكلمات، ولابد لذلك من مهارتي المحادثة والاستماع.

وإن المرء ليعجب من إهمال مدرسي العربية أصول النطق الصحيح للحروف والتلفظ الجميل بالكلمات أو إعراب الجمل وسلاسة التعبير في إلقائهم وقراءتهم، ولا يعطون العربية

حقها من روعة البيان وسحر الإيقاع، حتى إن بعضهم ليؤكد أن المعوّل عليه هو المعنى والأفكار والحقائق والمعلومات ولا قيمة للغة، ويقول مثل هؤلاء لطلابهم: عبّروا كيفما شئتم، المهم هو الأفكار والمعلومات.

ومثل هذا الفصل بين المعلومات والأفكار وإتقان اللغة غير صحيح على الإطلاق، ولا يمكن للمعلومات أن تترسخ وتنضج إلا بالتمكن من اللغة وامتلاكها والوعي بمبادئها وقيمها الفنية والجمالية.

وتظل مرحلة التعليم الفرصة الوحيدة أمام الطالب ليتقن لغته ويتعلمها ويحسن أداءها نطقا ولفظا، أما المعلومات فيمكنه أن يستكملها فيما بعد من خلال القراءة والمطالعة.

إن المرجوّ هو حرص المدرسين عامة ومدرسي اللغة العربية خاصة على سلامة النطق، وبلاغة التعبير، ليعوّدوا طلابهم على سماع لغتهم العربية، وليس عيبا أن يستعين مدرسو العربية بأجهزة السمع ورصده وتسجيله في تعليم الطالب لغته العربية على نحو ما هو متبع في تعليم اللغات الأجنبية.

إن قلة الاعتماد على المشافهة في التعليم من محادثة واستماع هي أحد أسباب تراجع العربية الفصيحة، وطغيان العامية، حتى كادت الفصيحة تتحول إلى لغة الكتابة والقراءة فحسب.

إن ما تعتز به العربية حقا هو حفاظها على أصواتها التي لم يطرأ عليها إلا تغير محدود جدا، وهذه سمة من سماتها الخاصة بها، فنحن نتكلم العربية ونلفظها، بأصواتها مثلما كان ينطقها الأجداد قبل نحو من ألفي عام، ولابد من التأكيد أن الحافظ لهذه السمة المميزة هو القرآن الكريم بفضل تلاوته.

وإذا كان العربي يريد أن يحفظ لغته حقيقة، وإذا كان يرغب في تعلمها والنطق بها وأدائها الأداء الصحيح والجميل، فما عليه إلا أن يعود إلى القرآن الكريم، لا ليقرأ في المصحف بعينيه قراءة صامتة أو يتلوه فحسب، بل ليستمع إلى كبار القراء من خلال أشرطة التسجيل، وليستمع إليهم بقلبه وعقله وسمعه وحواسه كلها، ويتنبّه إلى أدائهم الجملة، ولفظهم الكلمة، ونطقهم الحرف، ولينظر بعيني سمعه وقلبه إلى مواطن الجمال والسحر والبيان في النطق والأداء، وعندئذ يمكنه أن يتلو بعد ذلك القرآن الكريم ويتعلم العربية.

وفي هذا كله ما يؤكد أخيرا أن السماع والمحادثة، أو ما نسمه المشافهة، هو منشط أساسي في العملية التعليمية، ولاسيما تعليم اللغة العربية.

(مع الشكر لمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،
المجلد (82)، الجزء (1) ذو الحجة 1427هـ = يناير 2007م)

***

المتنبي

مالئ الدّنيا وشاغل النّاس

(6)

وسيم المحمدي/المدينة المنورة

آراء النّقاد في المتنبي

قال ابن رشيق في العمدة وهو يذكر كبارَ الشُّعراء: "ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس "(1)

لقد شغل الباحثون والنقاد قديما وحديثا بالمتنبي وشعره، فمنهم من هو معجب به منتصر له، ومنهم من هو حاقد عليه حاسد له، ومنهم من هو منصف آخذ بزمام العدل، ولقد عرف المتنبي ذلك في حياته، وأدرك هذا الأمر في عصره، فأشار إليه قائلا(2):

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبِي   وأسْمعتْ كلماتي من به صَمَمُ
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردِها   ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويَختَصِمُ

وقد احتدم الخلاف حوله، والمعركة في شعره، وظهر فريقان متقابلان يخالف بعضهم بعضا، فمعجب به منتصر له، وغاضب عليه حاسد له ظالم عليه. كما ظهر فريق ثالث آخذ بزمام العدل، رافع علم الإنصاف.

يقول القاضي الجرجاني في الوساطة: "وما زلتُ أرى أهل الأدب _منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلَتِ العناية بيني وبينهم_ في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين: من مُطنِب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحطّ في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقبه إذا ذُكرَت بالتعظيم، ويشيع محاسنه إذا حُكيَت بالتّفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرّر، ويميل على من عابه بالزّراية والتقصير، ويتناول من ينقُصُه بالاستحقار والتجهيل، فإن عَثَر على بيت مختلّ النظام، أو نُبّه على لفظ ناقص عن التّمام التزم من نُصْرَة خطئه، وتحسين زلله ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائبٍ يروم إزالته عن رُتبته، فلم يسلِّم له فضله،

(1) العمدة في صناعة الشعر ونقده 30/1.
(2) ديوان المتنبي ص 323.

ويحاول حطَّه عن منزلة بوأه إياها أدبُه، فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار معايبه، وتتبع سقطاته، وإذاعة غفلاته.

وكلا الفريقين إما ظالِمٌ له أو للأدب فيه، وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسدّه الاعتذار، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومَن لم يفرّق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفرِط، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، وأقام بين كل حديث فَصْلا، وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يُلْتَمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم، وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان، فاستسقاط من عزّ حالهُ حيْف، والتّحامل على من وُجّه إليه ظلم.

وللفضل آثار ظاهرة، وللتقدّم شواهدُ صادقة، فمتى وُجِدَت تلك الآثار، وشوهدت هذه الشواهد فصاحبُها فاضل متقدّم، فإن عُثِر له من بعدُ على زلّة، ووُجدت له بعَقِب الإحسان هفْوة انتُحِل له عذر صادق، أو رُخصة سائغة، فإن أعوز قيل: زلّة عالم، وقلّ من خلا منها، وأيّ الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدا، ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحدا، وأيّ عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يَهْفُ ولم يسقط!"[1].

وإذا أردنا أن نقف على آراء النقاد القدامى والمحدثين في المتنبي وأقوالهم فيه وجدناها على ما يأتي:

أولا: أراء النقاد القدامى في شعر المتنبي[2]:

أ- رأي أنصار المتنبي: أشاد أنصار المتنبي بشعره، ودافعوا عنه، وحاولوا ردّ ما وُجّه إليه من نقد، واعتذروا عما لا يمكن ردّه بأن ذلك من الزلات التي لا ينجو منها شاعر، أو أن ذلك كان من قبيل الضرورات، وقالوا: إن تلك المآخذ قليلة جدا إذا ما قسناها بما للمتنبي من حسنات، ثم قالوا في دفاعهم عنه: إن معظم ما وجّه للمتنبي من نقد إنما كان بسبب التحامل عليه، والتعصب ضدّه.

ب. رأي خصوم المتنبي: لم يذكر خصوم المتنبي له أيّةَ فضيلة، وما رأوا سوى مساويه؛ وذلك لأنهم ركّزوا على سقطاته وزلاّته.

---

(1) الوساطة ص 3_4.

(2) ينظر أشهر هذه الآراء مع التعليق عليها في ذكرى أبي الطيب ص 260-285.

وأبرز ما أخذوا عليه ما يأتي[1]:

1. خروجه على النحو واللغة.
2. خروجه على الوزن الخليلي في بعض الأبيات.
3. ميله إلى التعقيد المعنوي في بعض الاستعارات.
4. ميله إلى التعقيد اللفظي أحيانا.
5. الغموض في شعره أحيانا.
6. سرقة بعض المعاني من القدماء.

ج- الرأي الوسط حول موقف الفريقين:

إن كُلاًّ من الفريقين كان ظالما للمتنبي، وكان ظالما للأدب فيه، وهذا الرأي يتفق مع ما قرّره القاضي الجرجاني في الوساطة، والسبب الذي أوقع الفريقين في الظلم هو التعصب، فالمتنبي بشر غير معصوم؛ ولذلك فهو رغم الإعجاب به كغيره من البشر يصيب ويخطئ، وقد أخطأ المتنبي في إعجابه بنفسه وتكبّره على غيره؛ لأنه بذلك جلب العداوة لنفسه، وبخاصة عندما قال مثل قوله[2]:

وما الدَّهـرُ إلا مـن رواةِ قصائـدِي	إذا قلتُ شعـرا أصبحَ الدَّهرُ مُنشِدَا
فسار بـه مـن لا يسـير مشـمِّرا	وغنّـى بـه مـن لا يغنّي مغـرِّدا
فدع كل صوت غير صوتي فإننـي	أنا الصائحُ المحكيّ والآخر الصَّدَى
أجزني إذا أنشدتَ شـعـرا فإنّـما	بشعـري أتـاك المادحون مُردَّدا

كما أخطأ عندما تعمّد في بعض شعره مخالفة المشهور من قواعد اللغة، والإتيان بالغموض والتعقيد وغيره، إلا أن شعره على الرغم من ذلك مليء بالمحاسن، وهذه السقطات لا تُعدُّ شيئا بجانبها.

قال ابن جني رفيق المتنبي وتلميذه وشارح ديوانه: "وإن كان في بعض ألفاظه تعسّف عن القصد في صناعة الإعراب، من التمسّك بأهداب شاذ أو حمل على نادر، فعن غير جهل كان منه، ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له. ومن هنا تشبّث قوم لا دُرْبة لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه؛ إذ لم يكن لهم خبرة بدخلة أمره. وحقّا أقول: لقد شاهدته على خُلق قلّما

---

(1) تنظر هذه الانتقادات مع الرد عليها في ذكرى أبي الطيب ص 272-283.

(2) ديوان المتنبي ص 361.

تكامل إلا لعالم موفَّق. ... وأما اختراعه للمعاني وتغلغله فيها، واستيفاؤه إيّاها، فمما لا يدفعه إلا ضد، ولا يستحسن معاندته إلا ندّ، وما أحسبني رأيت أحدا غضّ من هذا الرجل وقتا من الزمان إلا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه وعاد إلى تفضيله... وما لهذا الرجل الفاضل عيب عند هؤلاء السقطة الجهّال وذوي النذالة والسفال، إلا أنه متأخر محدَث. وهل هذا _ لو عقلوا _ إلا فضيلة له ومَنْبهة عليه؛ لأنه جاء في زمان يُعقِم الخواطر، ويُصدئ الأذهان، فلم يزل فيه وحده بلا مُضاه يساميه، ولا نظير يعاليه، فكان كالقارح الجواد يتمطر في المهامه الشداد، لا يواضح إلا نفسه، ولا يتوجّس فيها إلا جرسه"[1].

وقال الثعالبي: "وتكلّم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعُونه، وتفرّقوا فرقا في مدحه والقدح فيه، والنضح عنه والتعصّب له وعليه.

وذلك أول دليل على وفور فضله، وتقدم قدمه، وتفرده عن أهل زمانه بملك رقاب القوافي، ورقّ المعاني. فالكامل من عُدّت سقطاته، والسعيد من أُحصيت هفواته. وما زالت الأملاك تهجى وتمدح"[2].

وقال أبو البقاء العكبري: "وقد أجمع الحذّاق بمعرفة الشعر والنقاد، أن لأبي الطيب نوادر لم تأت في شعر غيره، وهي مما تخرِق العقول..."[3].

ثم قال بعد إيراد مختارات من شعر المتنبي: "... فهذا الذي لم يأت شاعر بمثله، وإنما ذكرناه مجملا ليسهل أخذه وحفظه، ولو تصفحت دواوين المجيدين المولّدين والمحدثين، لم تجد لأحد منهم بعض هذا إلا نادرا، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء"[4].

وأما ما وجهه خصوم المتنبي من نقد مثل ما نُقل عن الصاحب بن عبّاد، فلا يقبل على إطلاقه؛ لتحامله عليه، ولأنه جانب الحقيقة في كثير من ذلك النقد، وربّما لو مدحه المتنبي _ كما رغب في ذلك الصاحب بن عباد _ لم يفعل ذلك[5].

ثانيا: آراء النقاد المحدثين في شعر المتنبي:

---

(1) لم أقف على هذا النص في كتب ابن جني، وقد نقلته من "ذكرى أبي الطيب" ص 261.
(2) يتيمة الدهر 140/1.
(3) التبيان في شرح الديوان 161/1.
(4) التبيان في شرح الديوان 167/1.
(5) ينظر للتفصيل: ذكرى أبي الطيب ص 261-262.

ونلخص هنا ما صدر عن النقاد والأدباء الكبار في العصر الحديث في شأن المتنبي، وهو كما يأتي:

أ. رأي مصطفى صادق الرّافعي: قد أعجب الرافعي بالمتنبي إعجابا شديدا، ورأى فيه من الجماليات ما تضمن بقاءه، ومن القوة ما تمنح له الثبات.

يقول الرافعي: "إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهي، فإن الإعجابَ بشعره لا ينتهي ولا يفرغ، وقد كان نفسا عظيمة خلقها الله كما أراد، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت، فكأنما جعلها بذلك زمنا يمتد في زمن."[1].

ب. رأي الدكتور عبد الوهاب عزّام: درس الدكتور عبد الوهاب عزام شعر المتنبي في كتابه (ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام)، وناقش ما وُجِّه إليه من نقد، وحاول الرد عليه[2]، وبيّن أن المتنبي امتاز بموضوعات اختصّ بها[3]، وتميز بشاعرية قوية خاصة عند تصوير المعارك[4]، ومعظم الدارسين يتفقون معه في هذا الرّأي.

ج. رأي العقاد: يقول العقاد: "كان المتنبي شاعرا من شعراء العرب العظام ...، فاعتدادُ المتنبي بنفسه، وظهور شخصيته، وقوة طبعه، وكثرة تجاربه، وحاجة الناس إلى الاستشهاد بأمثاله وحكمه في عصره، وتنافس الأمراء على اشتراء مدحه، وكثرة حساده؛ هذه هي الخصائص التي انفرد بجمعها المتنبي، فأشاعت ذكره، وحفظت شعره، وأنالته من المكانة في أدب العرب ما لم ينله شاعر سواه"[5].

فيرى العقاد أن المتنبي شاعر عظيم دون ريب، وأنه شاعر التجارب والحكم، كما وصفه بأنه فيلسوف، ولكنه معنيّ بالحياة مصادرها ومصائرها، وقد عدّ العقاد شعر المتنبي تعبيرا عن عظمته وشعوره بها. وعقد موازنة بينه وبين الفيلسوف الألماني (نيتشه)، ورأى أنهما يتفقان في فهم مقاييس الحياة وقيمها[6].

د. رأي الدكتور طه حسين: تحدّث الدكتور طه حسين عن المتنبي في كتاب خاص بعنوان (مع المتنبي)، ودلّ ذلك على إعجابه به، وإشادته بشعره، وقال: إن شعره في سيف

---

(1) وحي القلم 305/3.

(2) ينظر: ذكرى أبي الطيب ص 275-283.

(3) ينظر: ذكرى أبي الطيب ص 298-301.

(4) ينظر: ذكرى أبي الطيب ص 306-308.

(5) مطالعات في الكتب والحياة ص 140-144.

(6) ينظر: مطالعات في الكتب والحياة ص 140-174.

الدولة من أجمل الشعر العربي كلّه، وأروعه، وأحقه بالبقاء، وهو فيه مالك ناصية الفن، متصرّف في الألفاظ والمعاني تصرُّفَ الفحول، واضح الشخصية، متنوع الفن غزيره[1].

وقد قسم الدكتور طه حسين شعره في كافور إلى قسمين، هما:

1. المدح: ورأى أن بعضه جيّد، وبعضه الآخر وسط.
2. الهجاء: ورأى أنه وُفِّق فيه؛ لأنه قاله وهو متألّم؛ ولذلك فهو صادق فيه[2].

كما ذكر أن أجمل ما قاله من الشعر في مصر هو ذلك الغناء الحزين الذي صوّر فيه آماله الضائعة، وآلامه، وغربته، ويأسه، وندمه[3].

إلا أن الدكتور طه قد أثار بعض القضايا حول حياته وجانب فيه الصواب، كالشك في نسب المتنبي، وأنه كان لقيطا لا يعرف أباه[4]، وكالقول بأنه كان قرمُطيّا[5].

هـ. رأي الأستاذ محمود شاكر: يعدّ محمود شاكر رحمه الله أحسن من درس المتنبي وشعره دراسة واعية تحليلية لا مثيل لها، وذلك في كتابه (المتنبي).

يقول الأستاذ محمود شاكر عن ديوان المتنبي: "إنه كان أولَّ ديوانٍ من الشعر قرأته كلَّه، وحفظته كلَّه، وفُتنتُ به كلِّه"[6].

وقد فتن به حقا، حيث درسه دراسة لا نظير لها، وكشف بها عن حياة المتنبي المحفوفة بالعجائب والأسرار.

ويظهر موقف الأستاذ محمود شاكر من شعر المتنبي في إعجابه بشعره وعنايته به حفظا ودرسا وشرحا.

كما يظهر ذلك في إعداده كتاب (المتنبي)، حيث درس حياته من خلال شعره دراسة موضوعية جادّة، وردّ ما أشيع حول حياته من أمور النسب، والقرمطة، والنبوة، وكشف عما احتوت عليه حياته من أسرار، كحبّه أخت سيف الدولة، وما حُفّ به مقتله من غموض وأستار كذلك، كلّ ذلك في أسلوب شيّق جميل، على منهج وصفيّ تحليلي دقيق!!

(يتبع)

***

---

(1) ينظر: مع المتنبي ص169 وما بعدها.
(2) ينظر: مع المتنبي ص328 وما بعدها.
(3) ينظر: مع المتنبي ص317 وما بعدها.
(4) ينظر: مع المتنبي ص12 وما بعدها.
(5) ينظر: مع المتنبي ص41 وما بعدها.
(6) المتنبي ص9.

المملكة العربية السعودية

في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز

في الثالث والعشرين من سبتمبر من كل عام تحتفل المملكة العربية السعودية بيومها الوطني، ويستذكر أبناؤها الجهود المخلصة التي بذلها مؤسس المملكة الملك عبد العزيز رحمه الله، ومن جاء بعده من الأبناء الأوفياء، وهذه المناسبة مهمة دون شك، لأنها تعيد إلى الأذهان تلك المحاولات التي هدفت إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ونشر العدل والمساواة، وإقرار الأمن والسلام، وتنشيط الدعوة الإسلامية، وتكريم العلماء والدعاة، وحماية العقيدة من الشوائب. ونحن تأدية للواجب وإشادة بدور المملكة ننشر في هذا العدد من المجلة بعض المعلومات المتعلقة بالنمو والتطور الذي شهدته المملكة المحروسة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله وتولاه.

بايعت الأسرة المالكة الكريمة والشعب السعودي يوم الاثنين 1426/6/26 هـ الموافق 1/أغسطس 2005 م صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ملكا على البلاد وفق المادة الخامسة من النظام الأساسي للحكم.

ولقد شهدت المملكة العربية السعودية منذ مبايعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العديد من المنجزات التنموية العملاقة على امتداد مساحتها الشاسعة في مختلف القطاعات تشكل في مجملها إنجازات جليلة تميزت بالشمولية والتكامل في بناء الوطن وتنميته مما يضعها في رقم جديد في خارطة دول العالم المتقدمة.

وفيما يلي نبذة عن الإنجازات التي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، حفظه الله:

أبرز الإنجازات

شهدت المملكة العربية السعودية منذ مبايعة الملك عبد الله بن عبد العزيز العديد من المنجزات التنموية العملاقة على امتداد مساحتها الشاسعة في مختلف القطاعات الاقتصادية والتعليمية والصحية والاجتماعية والنقل والمواصلات والصناعة والكهرباء والمياه والزراعة تشكل في مجملها إنجازات جليلة تميزت بالشمولية والتكامل في بناء الوطن وتنميته مما يضعها في رقم جديد في خارطة دول العالم المتقدمة، فقد تجاوزت في مجال التنمية السقف المعتمد لإنجاز العديد من الأهداف التنموية التي حددها (إعلان الألفية للأمم المتحدة عام (2000) كما أنها على طريق تحقيق عدد آخر منها قبل المواعيد المقترحة.

نهضة تعليمية

وتحقق لشعب المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود العديد من الإنجازات المهمة منها تضاعف أعداد جامعات المملكة من ثمان جامعات إلى أكثر من عشرين جامعة وافتتاح الكليات والمعاهد التقنية والصحية وكليات تعليم البنات. وإنشاء جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية والعديد من المدن الاقتصادية منها مدينة الملك عبد الله الاقتصادية في رابغ ومدينة الأمير عبد العزيز بن مساعد الاقتصادية في حائل ومدينة جازان الاقتصادية ومدينة المعرفة الاقتصادية بالمدينة المنورة إلى جانب مركز الملك عبد الله المالي بمدينة الرياض. وخطت مسيرة التعليم خطوات متسارعة إلى الأمام حيث وجهت المملكة نسبة كبيرة من عائداتها لتطوير الخدمات، ومنها تطوير قطاع التعليم ولم تقف معطيات قائد هذه البلاد عند ما تم تحقيقه من منجزات تعليمية شاملة، فهو أيده الله يواصل مسيرة التنمية والتخطيط لها في عمل دائب يتلمس من خلاله كل ما يوفر المزيد من الخير والازدهار لهذا البلد وأبنائه.

وتعيش المملكة حاليا نهضة تعليمية شاملة ومباركة توجت بإحدى وعشرين جامعة حكومية وأربع جامعات أهلية تضم 19 كلية جامعية أهلية موزعة جغرافيا لتغطي احتياجات المملكة بلغ عدد طلبتها 701,681 وبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس في هذه الجامعات 30,246 أستاذا للعام الدراسي 1428/1429 هـ، إضافة إلى 32 ألف مدرسة للبنين والبنات ارتفع إجمالي عدد طلبتها إلى أكثر من 5 ملايين طالب وطالبة يتلقون تعليمهم في أكثر من 32 ألف مدرسة ويقوم على تعليمهم أكثر من 426 ألف معلم ومعلمة. وإنفاذا

لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين تم إنشاء العديد من المعاهد والمراكز في بعض الجامعات لأبحاث التقنيات متناهية الصغر (النانو).

توسعة الحرمين الشريفين

وحرص خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود على استكمال مختلف المشروعات التي تسهل وتيسر على حجاج بيت الله الحرام أداء مناسكهم والقضاء على مشاكل الازدحام حول جسر الجمرات وفي الساحات المحيطة بها، بالإضافة إلى ما تضمنته المشروعات من استكمال امتداد الأنفاق والتقاطعات والجسور التي ستؤدي بمشيئة الله إلى تسهيل حركة المرور من وإلى مشعر منى.

وفي هذا السياق صدرت في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة 1428 هـ موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله على تنفيذ مشروع لتوسعة الساحات الشمالية للمسجد الحرام، وستكون مجمل المساحة المضافة إلى ساحات المسجد الحرام بعد تنفيذ مشروع التوسعة ثلاث مائة ألف متر مسطح تقريبا مما يضاعف الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام ويتناسب مع زيادة أعداد المعتمرين والحجاج ويساعدهم في أداء نسكهم بكل يسر وسهولة.

الإصلاح الاقتصادي

وفي المجال الاقتصادي أثمرت توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز نحو الإصلاح الاقتصادي الشامل وتكثيف الجهود من أجل تحسين بيئة الأعمال في البلاد وإطلاق برنامج شامل لحل الصعوبات التي تواجه الاستثمارات المحلية والمشتركة والأجنبية بالتعاون بين جميع الجهات الحكومية ذات العلاقة عن حصول المملكة العربية السعودية على جائزة تقديرية من البنك الدولي تقديرا للخطوات المتسارعة التي اتخذتها مؤخرا في مجال الإصلاح الاقتصادي، ودخول المملكة ضمن قائمة أفضل عشر دول أجرت إصلاحات اقتصادية انعكست بصورة إيجابية على تصنيفها في تقرير أداء الأعمال الذي يصدره البنك الدولي. وصنفت المملكة أفضل بيئة استثمارية في العالم العربي والشرق الأوسط باحتلالها المركز 23 من أصل 178 دولة. وفي هذا السياق قال خادم الحرمين الشريفين في كلمته لدى افتتاحه أعمال السنة الرابعة من الدورة الرابعة لمجلس الشورى في 7 ربيع الأول 1429 هـ الموافق 15 مارس 2008م في المجال الاقتصادي:

عملنا تحسين مشاريع البنية الأساسية القائمة وتطويرها، كما تم اعتماد مشاريع جديدة في القطاعات المختلفة وبشكل يحقق التنمية المتوازنة بين مناطق المملكة ورفع معدلات النمو الاقتصادي وزيادة فرص العمل.

واستضافت المملكة في شهر نوفمبر 2007 م بدعوة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله القمة الثالثة لرؤساء وحكومات دول أعضاء منظمة أوبك في الرياض، والتي صدر عنها إعلان الرياض الذي ركز على دور منظمة أوبك ومساهمتها في استقرار سوق الطاقة العالمية والازدهار العالمي.

وأطلق خادم الحرمين الشريفين مبادرته بتخصيص حكومة المملكة العربية السعودية مبلغ ثلاثمائة مليون دولار لتكون نواة لبرنامج يمول البحوث العلمية المتصلة بالطاقة والبيئة والتغير المناخي.

الحوار العالمي بين أتباع الأديان

وفي مجال الحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات ونبذ الصدام بينها وتقريب وجهات النظر دعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في أكثر من مناسبة إلى تعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات والحضارات المختلفة وإلى ضرورة تعميق المعرفة بالآخر وبتاريخه وقيمه وتأسيس علاقات على قاعدة الاحترام المتبادل والاعتراف بالتنوع الثقافي والحضاري واستثمار المشترك الإنساني لصالح الشعوب.

وتتويجا للجهود التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لتعزيز التواصل والحوار بين الحضارات والثقافات والتوافق في المفاهيم تم إطلاق جائزة عالمية للترجمة باسم (جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للترجمة) إيمانا بأن النهضة العلمية والفكرية والحضارية إنما تقوم على حركة الترجمة المتبادلة بين اللغات كونها ناقلا أمينا لعلوم وخبرات وتجارب الأمم والشعوب والارتقاء بالوعي الثقافي وترسيخ الروابط العلمية بين المجتمعات الإنسانية.

وللتأصيل الشرعي لمفهوم الحوار الإسلامي مع أتباع الأديان والثقافات والحضارات المختلفة في العالم رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله في الثلاثين من شهر جمادى الأولى 1429 هـ حفل افتتاح المؤتمر الإسلامي

العالمي للحوار الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بقصر الصفا في مكة المكرمة. وأوصى المشاركون في المؤتمر بإنشاء مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي للتواصل بين الحضارات بهدف إشاعة ثقافة الحوار وتدريب وتنمية مهاراته وفق أسس علمية دقيقة وإنشاء جائزة الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للحوار الحضاري ومنحها للشخصيات والهيئات العالمية التي تسهم في تطوير الحوار وتحقيق أهدافه.

سياسة الاعتدال والحكمة

وفي المجال السياسي حافظت المملكة على منهجها الذي انتهجته منذ عهد مؤسسها الراحل الملك عبد العزيز طيب الله ثراه القائم على سياسة الاعتدال والاتزان والحكمة، وبعد النظر على الصعد كافة ومنها الصعيد الخارجي حيث تعمل المملكة على خدمة الإسلام والمسلمين وقضاياهم ونصرتهم ومد يد العون والدعم لهم في ظل نظرة متوازنة مع مقتضيات العصر وظروف المجتمع الدولي، وأسس العلاقات الدولية المرعية والمعمول بها بين دول العالم كافة منطلقة من القاعدة الأساس وهي العقيدة الإسلامية الصحيحة. وكانت السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية، وما تزال تعبر بصدق ووضوح مقرونين بالشفافية عن نهج ثابت ملتزم تجاه قضايا الأمة العربية وشؤونها ومصالحها المشتركة ومشكلاتها وفي مقدمتها القضية الفلسطينية واستعادة المسجد الأقصى المبارك والعمل من أجل تحقيق المصالح المشتركة مع التمسك بميثاق الجامعة العربية وتثبيت دعائم التضامن العربي على أسس تكفل استمراره لخير الشعوب العربية.

وفي هذا الإطار قدم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (عندما كان وليا للعهد) تصورا للتسوية الشاملة العادلة للقضية الفلسطينية من ثمانية مبادئ عرف باسم (مشروع الأمير عبد الله بن عبد العزيز) قدم لمؤتمر القمة العربية في بيروت عام 2002م، وقد لاقت هذه المقترحات قبولا عربيا ودوليا، وتبنتها تلك القمة وأكدتها القمم العربية اللاحقة خاصة قمة الرياض وأضحت مبادرة سلام عربية.

المنتدى الدولي للطاقة

واقترح الملك عبد الله بن عبد العزيز خلال المنتدى الدولي السابع للطاقة الذي عقد في الرياض خلال عام 2000م إنشاء أمانة عامة للمنتدى الدولي للطاقة يكون مقرها مدينة الرياض وقد قرر المجتمعون في منتدى الطاقة الدولي الثامن المنعقد في أوساكا اليابانية

بالإجماع إنشاء هذه الأمانة، ومقرها الرياض، وفي 17/شوال 1426 هـ رعى حفظه الله افتتاح مبنى الأمانة العامة لمنتدى الطاقة الدولي بالرياض.

مكافحة الإرهاب

كما اقترح حفظه الله إقامة مركز دولي لمكافحة الإرهاب وذلك خلال المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي عقد في مدينة الرياض في شهر فبراير 2005 برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله وبمشاركة أكثر من 50 دولة عربية وإسلامية وأجنبية إلى جانب عدد من المنظمات الدولية والإقليمية والعربية. وامتدت مشاركات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز الخارجية إلى أبعد من ذلك حيث يحرص رعاه الله دائما على المشاركة وحضور المؤتمرات الدولية والعربية والإقليمية والزيارات الرسمية لمعظم دول العالم ويسهم بفاعلية في وضع الأسس الثابتة القوية لمجتمع دولي يسوده السلام والأمن والإخاء.

الزيارات الخارجية

وجاءت زيارات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز العديدة للدول العربية والإسلامية والصديقة لتشكيل رافد آخر من روافد اتزان السياسة الخارجية للمملكة وحرصها على مسيرة التضامن العربي والسلام والأمن الدوليين.

وللمملكة إسهاماتها الواضحة والملموسة في الساحة الدولية عبر الدفاع عن مبادئ الأمن والسلام والعدل وصيانة حقوق الإنسان ونبذ العنف والتمييز العنصري وعملها الدؤوب لمكافحة الإرهاب والجريمة طبقا لما جاء به الدين الإسلامي الحنيف منهج المملكة في سياساتها الداخلية والخارجية بالإضافة إلى مجهوداتها في تعزيز دور المنظمات العالمية والدعوة إلى تحقيق التعاون الدولي في سبيل النهوض بالمجتمعات النامية ومساعدتها على الحصول على متطلباتها الأساسية لتحقيق نمائها واستقرارها.

(مع الشكر لجريدة "العالم الإسلامي" مكة المكرمة)

***

ركن الطلاب

جسد العالم يقتضي روح الإسلام

عبد الفتاح عبد الودود
السنة الثالثة للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

العالم البشري اليوم جاد في مسيره إلى الرقي المادي، مسرع خطاه إليه، لا شيء يردعه، ولا شيء يمنعه، يحدوه إليه حب المال والمادة، ويحفزه إليه الجشع والنهامة، فالعلوم في رقي ونمو، والفنون في ازدهار وانتشار، لا لأنها علوم وفنون، تهذب الإنسان، وتثقف الأجيال، وتسد العوز وتقيم الجلل، ولا لأنها تحل العقل من عقاله وتزلف العبد إلى ربه، بل لأنها وجوه الكسب وطرق المعاش، تدر لبنا وعسلا وتجلب أموالا.

فكان من تأثير هذه الفكرة المادية أن وجد هناك جيل، يتكالب على حطام الدنيا ويتهافت عليه تهافت الجياع على المائدة، ويتنطع في فلسفة الحياة والمادة، ويتقاتل لأجل فلس وقرص، ويتقارع في سبيل شرف وعرش، ويؤثر عاجله على آجله وفانيه على باقيه.

وأصبح العالم بحكم هذا التفكير المادي على مستوى الشعوب والحكومات سوق التجارة والصناعة، لا ترى فيه إلا البيع والشراء والحلف والعقد والصفقة، بل أصبح ساحة حرب طاحنة، تطحن الناس كما تطحن الرحى الحبوب، وما نشبت هذه لأجل دعوة ولا رسالة، بل للاستئثار بموارد الرزق ووسائل المعاش والمعيشة، فغلا الجماد ورخص الإنسان في هذه الأسواق.

وأصبح العالم لا تسوده ديانة سماوية، ولا تملك فيه زمام الحياة والمدنية شريعة إلهية، بل تسوده النظم الأرضية المصطنعة التي لا ترجع إلى ديانة ولا تؤول إلى دعامة، لا تؤيدها نظرة دينية ولا توافقها وجهة شرعية.

هذه الديمقراطية والجمهورية وهذه الاشتراكية المتطرفة والشيوعية كلها أخوات، من أب واحد وأم واحدة، ليست الديمقراطية إلا الأغلبية والأكثرية، وليست الاشتراكية إلا بناء على غير أساس وسلب حرية الإنسان.

ها هي ذه الرزايا تكتسح العالم وتجتاح الإنسانية جمعاء، وهذه الأزمات والكوارث تنتظم الشرق والغرب، وتعم كل صوب وحدب، فلم تخل أرض ولا بلدة، ولا قبيلة ولا أسرة إلا من عصم ربک.

فلا صلاح للعالم إلا في ظلال الإسلام، ولا ضمان لبقاءه إلا فيه، وهو الذي لديه الجدارة والكفاءة التامة لتجديف سفينة الحياة في هذا البحر الهائج المائج من بين الديانات السماوية، لأنها ظهرت ولعبت دورها على مسرح الحياة والمدنية ونسخت، فانقرض عهدها، أما الاسلام فهو رسالة السماء الأخيرة، كتب له الدوام والخلود، والبقاء والظهور، وهو الذي يقدم منهاجا نيرا للحياة، عجزت عنه النظم المصطنعة والعقول البشرية، وهو الذي يحمل في طياته الحب والوداد، والوحدة والوئام، والنصفة والإيثار، ورسالة ودعوة لجميع الأنام.

خطب النبي صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام منى فقال: يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم، وفي أي بلد أنتم؟قالوا: في يوم حرام وبلد حرام وشهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقونه، ثم قال: اسمعوا مني، تعيشوا، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه، ألا وإن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع........فاتقوا الله عز وجل في النساء، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإن لهن عليكم ولكم عليهن حقا.....الخ. (مسند أحمد 72/5، ط: دار الفكر)

هذا ما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم أمته في حجة الوداع، تتجلى فيه روح الإسلام، ورسالته ودعوته للإنسانية، ونظامه للحياة، ومنهجه لتكوين الأسر والبيوتات، ونظرته إلى دماء الإنسان وأمواله.

فالعالم في حاجة إلى روح الإسلام، والإسلام في حاجة إلى تضحية هذا الجيل المسلم في كل ساحة من ساحات الحياة، وأن يهب من سباته الطويل، ويمسك العالم البائس عن الانهيار الذي يهدده، والوضع يهيب برجال الدعوة أن يقوموا لهذه المهمة في أقل مدة بأكمل عدة.

والكون يستصرخ الداعي ويستغيثه على موات سعادته، وفوات حياته، وسيطرة شقاءه ودوام خباله أن يمده بروح الإسلام وقيمه، فليته سمع بكاءه وانتدب نفسه لنجدته.

وإذا انقطع هذا الجيل —وهو المسئول عن مسير العالم ومصيره— عن المادة إلى الدين، وعن الشك إلى اليقين، وعن الإيمان بالمشهود إلى الإيمان بالغيب، وسعى لإعادة شباب الإسلام ورواج كلمته، وعلو رايته وبسط هيمنته على وجه الأرض، وضحى في سبيل ذلك نفسه ونفيسه، وبذل أقصى مجهوداته وجهوده، لهبت نفحات الرعيل الأول وتقاطرت البركات من علياء السماء، وانقشعت سحب الكوارث عن سماء الكون، واندحرت القوى المادية وانهزمت في عقر دارها. فليته فعل{وما ذلك على الله بعزيز} (فاطر: 17)

***

من أخبار الجامعة:

حفل افتتاح ندوة الطلبة بالجامعة السلفية

عقدت ندوة الطلبة بالجامعة السلفية حفل الافتتاح في الساعة التاسعة صباحا، يوم الخميس 1432/8/18هـ= 2011/7/21م في قاعة المحاضرات بالجامعة برئاسة فضيلة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، حفظه الله، رئيس الجامعة السلفية بنارس.

بدئ الحفل بآي من القرآن الكريم تلاها الطالب أحمد بن محمد إبراهيم، من السنة الأولى للفضيلة، ثم قدم الطالب سعيد الرحمن بن محمد إبراهيم من السنة الأولى للفضيلة قصيدة في الثناء على الله تعالى، والطالب عزير أحمد بن نور الهدى، من السنة الأولى للعالمية قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم الطالب فرحان بن عبد المجيد، أمين ندوة الطلبة تعريفا بالندوة وأقسامها وأنشطتها، كما قدم الطالب نسيم أختر عبد المجيد أنشودة أيضا.

ثم ألقى الطلاب الآتي أسماؤهم كلمات حول موضوعاتهم:

الطالب	السنة الدراسية	الموضوع	اللغة
1–عبد الفتاح بن عبد الودود	السنة الثالثة للفضيلة	العام الدارسي الجديد	باللغة العربية
2–طارق أسعد بن أسعد أعظمي	السنة الأولى للعالمية	فضل العلم الشرعي	باللغة الأردية
3–برويز عالم بهو لا ميان	السنة الثانية للفضيلة	إن الدين عند الله الإسلام	باللغة الإنجليزية
4–محمد نثار محمد ياسين	السنة الأولى للعالمية	تعاليم الإسلام النيرة	باللغة الهندية

ثم ألقى فضيلة رئيس الجامعة الدكتور جاويد أعظم، حفظه الله، كلمته، حث فيها الطلاب على الجد والاجتهاد في طلب العلم، واغتنام الفرص والأوقات، والاستفادة من الوسائل التي وفرتها لهم الجامعة، وحذرهم من التسويف والتفريط وإضاعة الوقت فيما لا يعنيهم.

***